جامعة الأزهر
اللجنة العلمية لقسم
التفسير وعلوم القرآن

بحث فى

موهم الاختلاف والتناقض

اعداد

الدكتور / محمد زين العابدين مصطفى بدوى

استاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

جامعة الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

" الحمد لله الذى نزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً " صدق الله العظيم

وأشهد أن لا إله إلا الله نزل الكتاب بالحق ونزهه عن الاختلاف والتعارض والتناقض فسبحانه من إله لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. وأشهد ان سيدنا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن بهم اقتدى

وبعد،

فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين وهو الكتاب الخالد الصالح لكل زمان ومكان والمصلح لكل عصر ومصر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وهو المعجز الذى لا يعتريه اختلاف ولا تناقض ولا تعارض لأنه منزل من عند الله على خير رسول إلى خير أمة

(لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (١) فبما أنه من عند الله فلا اختلاف فيه وبما أنه لا اختلاف فيه فهو من عند الله. ولكن قد يظهر لمن ينظر فى القرآن الكريم نظرة سطحية غير متعمقة أن فى بعض آياته تعارضاً وتناقضاً ولو فى وجه من الوجوه لذا قصدت من وراء هذا البحث المتواضع أن أشير إلى الأسباب التى تدفع إلى هذا التوهم بعرضها مبيناً كيفية التوفيق بين الآيات التى ظاهرها الاختلاف والتناقض، ولا أدعى لنفسى سبقاً فى هذا المضمار حيث سبقنى فيه علماء أفاضل وشيوخ كرام تتلمذت على أيديهم ونهلت من معينهم.

فقد صنف فى هذا المضمار بعض العلماء كتباً مثل كتاب (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) للشيخ محمد الأمين الشنقيطى، وكتاب (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن) للشيخ أبى يحيى زكريا الأنصارى، وكتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة وغيرهم. وقد أردت أن أقدم هذا الموضوع فى أسلوب سهل ميسر يستطيع المبتدئ فهمه واستيعابه.

وقد اشتمل هذا البحث على ثلاثة فصول وهى كما يلى :-

الفصل الأول : فى معنى الاختلاف والتناقض.

وأما الفصل الثانى : ففى الأسباب توهم التعارض

وأما الفصل الثالث : ففى الإجابة عن بعض الاستشكالات الواردة فى القرآن الكريم.

---

(١) سورة النساء الآية /٨٢

ولست بصدد استقصاء كل من ورد فى القرآن الكريم من هذه الاستشكالات ولكن سأكتفى بذكر بعضها طلباً للاختصار.

ثم أتبعت ذلك بذكر المراجع التى اعتمدت عليها فى هذا البحث

هذا وإن أوفق فالتوفيق من الله وحده وإلا فالخير قصدت والحق أردت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. كما أرجو من كل قارئ بهذا البحث أن يدعو لى بخير إن وجد صوابا وإن وجد خطأ استغفر لى ووجهنى إلى الصواب كما أسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يجعله فى ميزان حسناتى إنه على كل شئ قدير وبالإجابة جدير وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اعداد

د. محمد زين العابدين مصطفى بدوى

استاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بسوهاج

الفصل الاول

فى معنى الاختلاف والتناقض

يجمل بنا قبل التعرض لموضوع البحث أن نوضح المقصود بالاختلاف والتناقض فنقول وبالله التوفيق :-

قال الزركشى سئل الغزالى عن معنى قوله تعالى : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " (١)

فأجاب بما صورته : الاختلاف لفظ مشترك بين معان، وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه، بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن، يقال : هذا كلام مختلف أى لا يشبه أوله أخره فى الفصاحة، إذ هو كلام مختلف، أى بعضه يدعو إلى الدين، وبعضه يدعو إلى الدنيا، أو هو مختلف النظم، فبعضه على وزن الشعر، وبعضه منزحف، وبعضه على أسلوب مخصوص فى الجزالة، وبعضه على أسلوب يخالفه، وكلام الله تعالى منزه عن هذه الاختلافات، فإنه على منهاج واحد فى النظم مناسب أوله وأخره، وعلى مرتبة واحدة فى غاية الفصاحة، فليس يشتمل على الغث والسمين ومسوق لمعنى واحد، وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى، وصرفهم عن الدنيا إلى الدين، وكلام الأدميين يتطرق إليه هذه الاختلافات، إذ كلام الشعراء والمترسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف فى منهاج النظم ثم أختلاف فى درجات الفصاحة، بل فى اصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين، فلا تتساوى رسالتان أو

---

(١) سورة النساء الآية /٨٢

قصيدتان، بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة، وكذلك تشتمل القصائد والاشعار على أغراض مختلفة، لأن الشعراء والفصحاء " في كل واد يهيمون " (١)يمدحون الدنيا وتارة يذمونها، وتارة يمدحون الجبن فيسمونه حزماً، وتارة يذمونه ويسمونه ضعفاً، وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونها صراحة، وتارة يذمونها ويسمونها تهوراً، ولا ينفك كلام أدمى عن هذه الاختلافات، لأن منشأ هذه الاختلافات اختلاف الاغراض، والانسان تختلف أحواله، فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه. ويتعذر عليه عند الانقباض. ولذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشئ مرة ويميل عنه أخرى، فيوجب اختلاف الأحوال والاغراض اختلافاً كلامه بالضرورة، فلا تصادف اللسان يتكلم فى ثلاث وعشرين سنة، وهى مدة نزول القرآن فيتكلم عن غرض واحد، وعلى منهج واحد ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراً تختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجد فيه اختلاف كثير، فأما اختلاف الناس فهو تباين فى آراء الناس لا فى نفس القرآن، وكيف يكون هذا المراد، وقد قال تعالى : " يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا " (٢)، فقد ذكر فى القرآن أنه فى نفسه غير مختلف، وهو مع هذا سبب لاختلاف الخلق فى الضلال والهدى، فلو لم يختلف فيه لكانت أمثال هذه الابيات خلفاً، وهى أشد أنواع الاختلاف. (٣)

---

(١) سورة الشعراء ٢٢٥

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج٢ ص٤٦ : ٤٧

وجماع الاختلاف والتناقض أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض، وإنما التناقض فى اللفظ ما ضاده من كل جهة ولا يوجد فى الكتاب والسنة شئ من ذلك أبداً وإنما يوجد فيه نسخ فى وقتين، بأن يوجب حكماً ثم يحله، وهذا لا تناقض فيه وتناقض الكلام لا يكون إلا فى اثبات ما نفى أو نفى ما أثبت، بحيث يشترك المثبت والمنفى فى الاسم والحدث والزمان والافعال والحقيقة، فلو كان الاسم حقيقة فى احدهما وفى الآخر مستعاراً، ونفى أحدهما، وأثبت الآخر لم يعد تناقضاً.

وقال القاضى أبو بكر : لا يجوز تعارض أى القرآن والاثار وما يوجبه العقل، فلذلك لم يجعل قوله : " اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ " (١) معارضاً لقوله " وتخلقون إفكا " (٢)، " وإذ تخلق من الطين " (٣) لقيام الدليل العقلى، أنه لا خالق غير الله، فتعين تأويل ما عارضه، فيؤول " وتخلقون " على " تكذبون "

" وتخلق " على " تصور " (٤)

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٢

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٧

(٣) سورة المائدة الآية ١١٠

(٤) الأتقان فى علوم القرآن ج٣ ص٨٩، البرهان فى علوم القرآن ج٢ ص٥٣

الفصل الثانى

فى أسباب توهم التعارض

ذكر علماؤنا – أجزل الله مثوبتهم عدة أسباب للأختلاف أذكر منها:

أولا : وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وأطوار شتى.

كقوله تعالى فى خلق أدم إنه : " من تراب " (١) ومرة " من حمأ مسنون " (٢)، ومرة " من طين لازب " (٣)، ومرة " من صلصال كالفخار " (٤)، وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها فى أحوال مختلفة، لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال منه قوله تعالى : " فإذا هى ثعبان مبين " (٥) وفى موضع " تهتز كأنها جان " (٦) والجان : الصغير من الحيات والثعبان الكبير منها، وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم، واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٩

(٢) سورة الحجر الآية ٢٦

(٣) سورة الصافات الآية ١١

(٤) سورة الرحمن الآية ١٤

(٥) سورة الأعراف الآية ١٠٧

(٦) سورة النمل الآية ١٠

ثانيا : اختلاف الموضوع أو الموضع، كقوله تعالى :

" وقفوهم إنهم مسئولون " (١) وقوله : فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين " (٢) مع قوله " فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان " (٣)

فمن ناحية الموضوع : أن تحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل، والثانية على ما يستلزم الاقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه.

ومن ناحية الموضع : ما حمله بعض العلماء على اختلاف الاماكن، لأن فى القيامة مواقف كثيرة فموضع يسأل ويناقش، وموضع آخر يرحم ويلطف به، وموضع أخر يعنف ويوبخ - وهم الكفار وموضع آخر لا يعنف - وهم المؤمنون.

ومنه قوله عز وجل " ولا يكلمهم الله يوم القيامة " (٤) مع قوله " فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون " (٥) وقيل : المنفى كلام التلطف والاكرام، والمثبت سؤال التوبيخ والاهانة، فلا تنافى.

---

(١) سورة الصافات الآية ٢٤
(٢) سورة الأعراف الآية ٦
(٣) سورة الرحمن الآية ٣٩
(٤) سورة آل عمران الآية ٧٧

ومنه قوله تعالى " وجزاء سيئة سيئة مثلها " (١) مع قوله تعالى : " يضاعف لهم العذاب " (٢) والجواب أن المضاعفة هنا ليست على حد المضاعفة فى الحسنات، بل هى راجعة لمضاعفة مرتكب منها عذاب يخصه، فليست المضاعفة من هذا الطريق على ما هى فى الطريق الآخر، وإنما المراد هنا تكثيرها بحسب كثرة المجترحات، لأن السيئة الواحدة يضاعف الجزاء عليها بدليل سياق تلك الآية.

ومنه قوله تقدست اسماؤه : " اتقوا الله حق تقاته " (٣) مع قوله : " فأتقوا الله ما استطعتم " (٤) يحكى عن الشيخ العارف أبى الحسن الشاذلى رحمة الله أنه جمع بينهما، فحمل الآية الأولى على التوحيد، والثانية على الأعمال، والمقام يقتضى ذلك، لأنه قال بعد الأولى " ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون " (٥) وقيل : بل الثانية ناسخة، قال ابن المنير : الظاهر أن قوله " أتقوا الله حق تقاته " إنما نسخ حكمة لا فضله وأجره.

---

(٥) سورة الحجر الايتان ٩٢،٩٣

(١) سورة الشورى الآية ٤٠

(٢) سورة هود الآية ٢٠

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٢

(٤) سورة التغابن الآية ١٦

(٥) سورة آل عمران الآية ١٠٢

ثالثا : اختلافهما فى جهتى الفعل، كقوله عز وجل : " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (١) " أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة، ونفاه عنهم باعتبار التأثير، ولهذا قال الجمهور : إن الافعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للأدميين فنفى الفعل باحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى، وكذلك قوله عز وجل : " وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى " (٢) أى ما رميت خلقاً إذ رميت كسباً، وقيل : إن الرمى يشتمل على القبض والارسال، وهما بكسب الرامى، وعلى التبليغ والاصابة، وهما بفعل الله عز وجل.

قال ابن جرير الطبرى، وهى الدليل على أن الله خالق لأفعال العباد، فإن الله اضافه إلى نبيه ثم نفاه عنه، وذلك فعل واحد لأنه من الله تعالى التوصيل إليهم، ومن نبيه بالحذف والارسال، وإذا ثبت هذا لزم مثله فى سائر افعال العباد المكتسبة، فمن الله تعالى الانشاء والايجاد ومن الخلق الاكتساب بالقوى (٣)

---

(١) سورة الانفال الآية ١٦

(٢) سورة الانفال الآية ١٧

(٣) تفسير ابن جرير الطبرى م٦ ج٩ ص٢٠٢

ومثله قوله عز وجل " الرجال قوامون على النساء " (١) وقال تعالى : " وقوموا لله قانتين " (٢) فقيام الانتصاب لا ينافى القيام بالامر، لأختلاف جهتى الفعل.

رابعا : لأختلافهما فى الحقيقة والمجاز، كقوله تبارك وتعالى : " وترى الناس سكارى وما هم بسكارى " (٣)

وقوله " ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت " (٤) وهو يرجع إلى قول المناطقة : الاختلاف بالاضافة، أى وترى الناس سكارى بالاضافة إلى أهوال القيامة مجازاً، وما هم بسكارى بالاضافة إلى الخمر حقيقة ومثله فى الاعتبارين قوله عز وجل " أمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " (٥) وقوله " ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون " (٦) وقوله تعالى : " وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون " (٧) فإنه لا يلزم من نفى النظر فى الابصار لجواز قولهم : نظرت إليه فلم أبصره.

---

(١) سورة النساء الآية ٣٤
(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٨
(٣) سورة الحج الآية ٢
(٤) سورة إبراهيم الآية ١٧
(٥) سورة البقرة الآية ٨
(٦) سورة الانفال الآية ٢١
(٧) سورة الأعراف الاية ١٩٨

خامسا : بوجهين واعتبارين، وهو الجامع للمفترقات، كقوله عز وجل : " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله " (١) **مع قوله** : " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " (٢) **فقد يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة، وجوابه أن الطمأنينة إنما تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى فتوجل القلوب لذلك. وقد جمع بينهما فى قوله** : " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " (٣) **فإن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدهم ووثقوا به، فأنتفى عنهم الشك.**

ومنه قوله : " خمسين الف سنة " (٤) **وفى موضع** " ألف سنة " (٥)، **أجيب بأنه باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل** : " وكان يوماً على الكافرين عسيراً "(٦) **ومنه قوله تقدست اسماؤه** " توفته رسلنا " (٧) **وقوله**

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٨
(٢) سورة الانفال الآية ٢
(٣) سورة الزمر الآية ٢٣
(٤) سورة المعاج الآية ٤
(٥) سورة السجدة الآية ٥
(٦) سورة الفرقان الآية ٢٦
(٧) سورة الانعام الآية ٦١

: " تتوفاهم الملائكة " (١)، وبين قوله : " قل يتوفاكم ملك الموت " (٢)

وبين قوله : " الله يتوفى الانفس " (٣)، " وهو الذى يتوفاكم بالليل " (٤)

وجمع البغوى بينهما، لأن توفى الملائكة بالقبض والنزع، وأوفى ملك الموت بالدعاء والامر، يدعو الأرواح فتجيبه، ثم يأمر أعوانه بقبضها، وتوفى الله سبحانه خلق الموت فيه. (٥)

---

(١) سورة النحل الآية ٢٨

(٢) سورة السجدة الآية ١١

(٣) سورة الزمر الآية ٤٢

(٤) سورة الانعام الآية ٦٠

(٥) أنظر البرهان فى علوم القرآن للزركشى ج٢ ص٦٥: ٥٤، الاتقان فى علوم القرآن ج٣ صلى الله عليه وسلم ٨٤ : ٨٨. بتصرف

الفصل الرابع

الإجابة على بعض الاستشكالات الواردة فى القرآن الكريم

لقد ذكر العلماء أجزل الله مثوبتهم أمثلة من القرآن الكريم يوهم ظاهرها وجود اختلافاً وتناقضاً واستشكالاً وأجابوا بما يدفع هذا التوهم والتناقض وسوف أذكر بعضاً منها بقدر ما تسمح به طبيعة هذا البحث المختصر وسوف اترك بعضها حيث يمكن قياسه على ما ذكر فأقول وبالله التوفيق وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

الموضع الأول فى سورة البقرة :- قوله تعالى : " الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " (١) أشار الله تعالى إلى القرآن الكريم فى هذه الآية إشارة البعيد وقد أشار سبحانه له فى آيات آخر إشارة القريب وذلك كقوله تعالى " إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم " (٢) وكقوله : " إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل... الآية " (٣) وكقوله : " وهذا كتاب أنزلناه مبارك " (٤) إلى غير ذلك.

وللتوقف نقول عدة أوجه :

---

(١) سورة البقرة الآية ١، ٢

(٢) سورة الإسراء الآية ٩

(٣) سورة النمل الآية ٧٦

(٤) سورة الانعام الآية ١٥٥

الوجه الاول : ما ذكره علماء البلاغة من أن وجه الإشارة إليه باشارة الحاضر القريب أن هذا القرآن قريب حاضر فى الاسماع والالسنة والقلوب ووجه الإشارة بالبعد هو لبعد مكانته ومنزلته من مشابهة كلام الخلق وما يزعمه الكفار من كونه سحر أو شعر أو كهانة.

الوجه الثانى :- هو ما اختاره ابن جرير الطبرى فى تفسيره إلى أن ذلك إشارة إلى ما تضمنه قوله : ' الم ' وأنه إشار إليه إشارة البعيد لأن الكلام المشار إليه منقض ومعناه فى الحقيقة القريب لقرب انقضائه (١)

الوجه الثالث :- أن العرب ربما اشارت إلى القريب إشارة البعيد فتكون الآية على أسلوب من أساليب اللغة العربية. ونظيره قول خفاف من تربة السلمى لما قتل مالك بن حرملة القرارى يقول :

فإن تك خيلى قد أصيب صميمها ... فعمداً على عينى تيمت مالكاً

أقول والرمح بأطر مقتنه ... تأمل خفافاً أننى أنا ذلكا (٢)

الموضع الثانى :- قوله تعالى : " هدى للمتقين " (٣) خصص فى هذه الآية هدى هذا الكتاب بالمتقين وقد جاء فى آية أخرى ما يدل على أن هداه عام لجميع الناس، وذلك كقوله " شهر رمضان الذى أنزل فيه

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى م١ ج١ صلى الله عليه وسلم ١٢٨

(٢) دفع إيهام الاضطراب ص٦

(٣) سورة البقرة الآية ٢

القرآن هدى للناس " (١) ووجه الجمع بينهما أن الهدى يستعمل في القرآن استعمالين :

الأول : عام والثانى : خاص

أما الهدى العام : فمعناه اباتة طريق الحق وإيضاح الحجة.

أما الهدى الخاص : فهو تفضل من الله بالتوفيق على البعد ومنه ذلك قوله تعالى : " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " (٢).

ومن هنا يعلم أن الهدى الخاص بفضل الله على المتقين، والهدى العام إباتة الطريق والحجة لكافة الناس وبذلك يرتفع الإشكال (٣).

الموضع الثالث :- قوله : " أن الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون " (٤).

صورة إيهام التعارض... تدل بظاهرها على عدم إيمان الكفار.. وقد جاء فى آيات آخر ما يدل على أن بعض الكفار يؤمن بالله ورسوله فى وقت

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥

(٢)سورة الانعام الآية ٩٠

(٣) دفع إيهام الاضطراب ص٧

(٤) سورة البقرة الآية ٦

ما كقوله " قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف " (١) وقوله : " كذلك كنتم من قبل فمَنَّ الله عليكم " (٢) وغيرهما..

ووجه الجمع هو أن هذه الآية من العام المخصوص لأنه فى خصوص الاشقياء الذين سبقت لهم الشقاوة فى علم الله.

وأجاب البعض بأن المعنى لا يؤمنون ما دام الطبع على قلوبهم واسماعهم والغشاوة على أبصارهم، فإذا أزال الله عنهم أمنوا بفضله (٣)

الموضع الرابع :- قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم.." (٤) يدل ظاهر هذه الآية على أنهم مجبورون على الكفر وقد جاء فى آيات أخر ما يدل على أن كفرهم واقع بمشيئتهم وإرادتهم كقوله : " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر " (٥) ولإزالة الايهام أن الختم والطبع والغشاوة المجعولة على اسماعهم وأبصارهم وقلوبهم، كل ذلك عقاب من الله لهم على مبادرتهم إلى الكفر وتكذيب الرسل باختيارهم

---

(١) سورة الانفال الآية ٣٨

(٢) سورة النساء ٩٤

(٣) روح المعانى للألوس ج١ ص١٣٠ بتصرف

(٤) سورة البقرة الآية ٧

(٥) سورة الكهف ٢٩

ومشيئتهم فعاقبهم الله بعد التوفيق جزاء وفاقاً، كما بينه قوله : " بل طبع الله عليهم بكفرهم " (١) وغير ذلك.

الموضع الخامس : قوله عز وجل : " مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً " (٢)

وشبهة الايهام تكمن فى إيهام الضمير فى هذه الآية فى قوله " استوقد " وفى قوله " وما حوله " وجمع الضمير فى قوله : " ذهب الله بنورهم فتركهم فى ظلمات لا يبصرون " مع أن مرجع كل هذه الضمائر شئ واحد وهو لفظة " الذى " مثلهم كمثل الذى ... " ولإزالة هذه الشبهة نقول : أن لفظة (الذى) مفرد ومعناها العموم لكل ما تشمله صلتها. وقد تقرر على علم الاصول أن الاسماء الموصولة كلها من صيغ العموم فإذا تحقق ذلك يكن أفراد الضمير باعتبار لفظة (الذى) وجمعه باعتبار معناها. ولهذا المعنى جرى على ألسنة العلماء أن الذى تأتى بمعنى الذين.. ومن أمثلة ذلك فى القرآن الكريم هذه الآية الكريمة فقوله " كمثل الذى أستوقد.. " أى كمثل الذين استوقدوا بدليل قوله : " ذهب الله بنورهم ".

ومثله قوله

" والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون " (٣)

---

(١) سورة النساء الآية ١٥٥

(٢) سورة البقرة الآية ١٧

الموضع السادس :- قوله تعالى : " صم بكم عمى " (١) هذه الآية يدل ظاهرها أن المنافقين لا يسمعون ولا يتكلمون ولا يبصرون.. وقد جاءت آيات أخرى تدل على خلاف ذلك قوله : " ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم.. "(٢) وقوله " وإن يقولوا تسمع لقولهم " (٣)أى لفصاحتهم وحلاوة ألسنتهم وغير ذلك من الآيات.

ووجه الجمع بين هذه الآيات ظاهر وهو أنهم بكم عن النطق بالحق وأن تكلموا بغيره فهم صم عن سماع الحق وإن سمعوا غيره، وعمى عن رؤية الحق وأن رأوا غيره، وقد بين تعالى هذا الجمع بقوله ' وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة ' (٤).

الموضع السابع :- وقوله تبارك وتعالى : " أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقا تقتلون " (٥).

---

(٣) سورة الزمر الآية ٣٣
(١) سورة البقرة الآية ١٨
(٢) سورة البقرة الآية ٢٠
(٣) سورة المنافقون الآية ٤
(٤) سورة الاحقاف الآية ٢٦
(٥) سورة البقرة الآية ٨٧

ووجه الايهام أن الآية لا يدل ظاهرها على أنهم قتلوا بعض الرسل، وجاء فى آيات أخر ما يدل أن الرسل منتصرون غالبون كما فى قوله "كتب الله لأغلبن أنا ورسلى " (١) وقوله " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وإن جندنا هم الغالبون " (٢)

ولإزالة هذا الايهام نقول : " أن الرسل قسمان : قسم أمروا بالقتال فى سبيل الله وهؤلاء تمت لهم الغلبة والنصر كسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وقسم أمروا بالصبر والكف عن الناس. وهم الذين قتلوا ليرفع الله من درجاتهم. وهذا التوفيق بين الآيات مفهوم منها لأن النصر والغلبة فيه دلالة على الأمر بالجهاد.

الموضع الثامن :- قوله عز وجل : " ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه "(٣) الاستفهام فى الآية إنكارى ومعنا النفى. أى لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله.

وقد جاءت آيات أخرى يفهم منها خلاف هذا كقوله : " ومن أظلم ممن أفترى على الله كذباً " (٤) وقوله : " ومن أظلم ممن كذب

---

(١) سورة المجادلة الآية ٢١

(٢) سورة الصافات الآية ١٧١، ١٧٣

(٣) سورة البقرة الآية ١١٤

(٤) سورة الانعام الآية ٢١

على الله " (١) وقوله " ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها " (٢) ولإزالة إيهام التناقض بين هذه الآيات نقول أوجه :

منها تخصيص كل موضع بمعنى صلته، أى لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا أحد من المفترين أظلم ممن أفترى على الله كذبا وإذا تخصصت الآيات بصلاتها زال الايهام ولا إشكال حينئذ.

ومنها أن التخصيص بالنسبة إلى السبق، أى لما لم يسبقهم أحد إلى هذا الظلم حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكاً طريقهم.

ومنها ما قاله أبو حيان - وادعى أنه الصواب - وهو ما حاصله : أن نفى التفضيل لا يستلزم نفى المساواة (٣) فلم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر لأنهم يتساوون فى الاظلمية. وبذلك يصير المعنى : لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله.. وممن افترى على الله كذبا. وممن كذب بآيات الله. ولا إشكال فى تساوى هؤلاء فى الاظلمية. ولا يدل على أن أحدهم أظلم من الآخر فكنهم متساوون فى الظلم كل حسبما اقترف، وقال بعضهم هذا استفهام مقصود به التهويل والتفظيع من غير قصد إثبات الاظلمية للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره. (٤)

---

(١) سورة الزمر الآية ٣٢

(٢) سورة الكهف الآية ٥٧

(٣) تفسير البحر المحيط لابى حيان ج١ ص٣٥٧

(٤) الاتقان فى علوم القرآن ج ص٨٧، ٨٨

الموضع التاسع :- قوله تعالى : " ولله المشرق والمغرب " (١)

ووجه الايهام هنا أنه أفرد فى هذه الآية المشرق والمغرب، وثناهما فى سورة الرحمن فى قوله : " رب المشرقين ورب المغربين " (٢) وجمعهما فى سورة المعارج فة قوله : " فلا أقسم برب المشارق والمغارب " (٣) وجمع المشارق أيضا فى سورة الصافات بقوله :" رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق "(٤) ودفع الايهام بين هذه الآيات يتلخص فى أن قوله " ولله المشرق والمغرب " المراد به جنس المشرق والمغرب فهو صادق بكل مشرق من مشارق الشمس التى هى ثلاثمائة وستون، وكل مغرب من مغاربها التى هى كذلك. كما روى عن ابن عباس قال ابن جرير معناه : ولله ما بين قطرى المشرق وقطرى المغرب إذا كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشروقها منه إلى الحول الذى بعده وكذلك غروبها (٥) وقوله " رب المشرقين ورب المغربين" يعنى مشرق الشتاء ومشرق الصيف ومغربهما. وقيل : مشرق الشمس والقمر ومغربهما.

---

(١) سورة البقرة الآية ١١٥

(٢) سورة الرحمن الآية ١٧

(٣) سورة المعارج الآية ٤٠

(٤) سورة الصافات الآية ٥

(٥) تفسير ابن جرير الطبرى م١ج١ ص٥٤٨

وقوله : " برب المشارق " أى مشارق الشمس ومغاربها كما تقدم.

وقيل : مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها (١)

الموضع العاشر :- قوله عز وجل : " وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه " (٢) الآية.

قوله " إلا لنعلم " يوهم أنه لم يكن عالماً بمن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، مع أنه تعالى عالم بكل شئ قبل وقوعه. فهو يعلم ما سيعمله الخلق، كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله : " هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم " (٣).

ولإزالة الايهام نقول أن معنى قوله " إلا لنعلم " أى علماً يترتب عليه الثواب والعقاب، فلا ينافى كونه عالماً به قبل وقوعه، وقد أشار إلى أنه لا يستفيد بالاختيار علماً جديداً لأنه عالم بما سيكون حيث قال : " وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور " (٤) فقوله : " والله عليم بذات الصدور " بعد قوله " ليبتلى " دليل على أنه لا

---

(١) دفع ايهام الاضطراب للشنقيطى ص٢٦، ٢٧

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣

(٣) سورة النجم الآية ٣٢

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٤

يفيد الاختبار عما لم يكن يعلمه سبحانه وتعالى عن ذلك، بل هو تعالى عالم بكل ما سيعمله خلقه وعالم بكل شئ قبل وقوعه، كما لا خلاف فيه بين المسلمين " لا يعزب عنه مثقال ذرة " (١).

الموضع الحادى عشر :- قوله تبارك وتعالى : " وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين " (٢)

هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن القادر على صوم رمضان مخير بين الصوم والاطعام وقد جاء فى آية أخرى ما يدل على تعيين وجوب الصوم وهو قوله : " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " (٣) والجواب عن هذا بأمرين :-

أحدهما : أن قوله " وعلى الذين يطيقونه فدية " منسوخ بقوله : " فمن شهد منكم الشهر فليصمه " (٤)

ثانيهما : أن معنى " يطيقونه " لا يطيقونه، بتقدير لا النافية. وعليه فتكون الآية محكمة ويكون وجوب الطعام على العاجز عن الصوم كالهرم

---

(١) دفع إيهام الاضطراب للشنقيطى ص٢٨، ٢٩

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٤

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٥

(٤) الناسخ والمنسوخ على حاشية أسباب النزول ص٦٥

والزمن. واستدل بهذا القول بقراءة هذه الآية تدل على طلب الانتقام وأن جزاء السيئة سئية مثلها. وقد جاءت آيات أخر تدل على العفو وترك الانتقام " ادفع بالتى هى أحسن " (١) وقوله " خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين " (٢) والجواب عن هذا بأمرين :-

أحدهما : أن الله بين مشروعية الانتقام، ثم ارشد إلى افضلية العفو، ويدل لهذا قوله " إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين " (٣)

الثانى : أن الانتقام له موضع يحسن فيه، والعفو له موضع كذلك كقول الشاعر :

إذا قيل حلم فللحلم موضع وحلم الفتى فى غير موضعه جهل (٤)

الموضع الرابع عشر :- قوله تعالى :" والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء " (٥)

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٤

(٢) سورة الأعراف الآية ١٩٩

(٣) سورة النحل الآية ١٢٦

(٤) دفع إيهام الاضطراب ص١٤١ بتصرف

(٥) سورة البقرة الآية ٢٢٨

هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن كل مطلقة تعتد بالإقراء، وقد جاء فى آيات أخر أن بعض المطلقات يعتد بغير الإقراء، كالعجائز والصغائر المنصوص عليهن بقوله : " واللائى يئسن من المحيض.. " إلى قوله " واللائى لم يحضن " (١) وكالحوامل المنصوص عليهن بقوله : " وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن " مع أنه جاء فى آية أخرى أن بعض المطلقات لا عدة عليهن أصلا وهن المطلقات قبل الدخول، وهى قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها " (٢) والجواب عن هذا ظاهر وهو أن آية (والمطلقات) عامة، وهذه الآيات المذكورة أخص منها فهى مخصصة لها، فهى إذا من العام المخصوص. (٣)

<u>الموضع الخامس عشر</u> :- قوله تبارك وتعالى :" والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً " (٤).

---

(١) سورة الطلاق الآية ٤

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٩

(٣) دفع إيهام الاضطراب ص٤٣

(٤) سورة البقرة الآية ٢٣٤

هذه الآيـة يظهر تعارضها مع قولـه : " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج " (١)

والجواب ظاهر وهو أن الأولى ناسخة بهذه، وإن كانت قبلها فى المصحف لأنها متأخرة عنها فى النزول (٢)

الموضع السادس عشر :- قوله عز وجل : " لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى " (٣) هذه الآية تدل بظاهرها على أنه لا يكره أحد على الدخول فى الدين ونظيرها قولـه تعالى : " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " (٤)

والجواب عن هذا بأمرين :-

الأول :- أن هذه الآية فى خصوص أهل الكتاب، والمعنى أنهم قبل نزول قتالهم لا يكرهون عليه إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٠

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج٣ص٢٢٦، الناسخ والمنسوخ ص٩٣ - ٩٥ بتصرف.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٦

(٤) سورة يونس الآية ٩٩

الثانى :- أنها منسوخة بآيات القتال كقوله : " فإذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين.. " (١) ومعلوم أن سورة البقرة من أول ما نزل بالمدينة، وسورة براءة من آخر ما نزل بها، والقول بالنسخ يروى عن ابن مسعود وزيد بن أسلم، وعلى كل حال فآيات السيف نزلت بعد نزول السورة التى فيها " لاإكراه فى الدين ". والمتأخر أولى من المتقدم (٢) والله أعلم.

<u>الموضع السابع عشر</u> :- قوله تقدست اسماؤه : " وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله.. الآية (٣)

هذه الآية تدل بظاهرها أن الوسوسة وخواطر القلوب يؤاخذ بها الإنسان مع أنه لا قدرة له على دفعها. وقد جاء فى آيات أخر تدل على أن الإنسان لا يكلف إلا بما يطيق كقوله : ' لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " (٤)

---

(١) سورة البقرة الآية ٥

(٢) الناسخ والمنسوخ ص٩٧

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٤

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٦

وقوله" فاتقوا الله ما استطعتم " (١) والجواب أن آية : " وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه " منسوخة بقوله : " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها " (٢).

الموضع الثامن عشر في سورة آل عمران :-

قوله تعالى : " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات " (٣)

هذه الآية الكريمة تدل على أن من القرآن محكماً وأن منه متشابها. وقد جاءت آية أخرى تدل على أن كله محكم وهو قوله " كتاب أحكمت آياته " (٤) ومنه ما يدل على أن كله متشابه وهو قوله :" كتابا متشابها مثاني " (٥)وللجمع بين هذه الآيات أن معنى كونه كله محكماً أنه في غاية الاحكام أي الاتقان في ألفاظه ومعانيه وإعجازه واخباره صدق وأحكامه عدل.. ومعنى كونه كله متشابها أن آياته يشبه بعضها بعضا في الحسن والصدق والاعجاز والسلامة من جميع العيوب.

---

(١) سورة التغابن الآية ١٦

(٢) الجامع الاحكام القرآن ج٣ ص٤٢١ الناسخ والمنسوخ ص٩٩، ١٠٠

(٣)سورة آل عمران الآية ٧

(٤) سورة هود الآية ١

(٥) سورة الزمر الآية ٢٣

ومعنى كون بعضه محكماً وبعضه متشابهاً، أن الحكم منه هو واضح المعنى لكل الناس كقوله : " ولا تقربوا الزنا "، " ولا تجعل مع الله إلـه آخر ". والمتشابه هو ما خفى علمه على غير الراسخين كمعنى الحروف المقطعة فى أوائل السور بنا على أن الواو فى قوله " والراسخون فى العلم " استئنافية لا عاطفة (١).

الموضع التاسع عشر :- قوله تبارك وتعالى : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين " (٢) الآية.

هذه الآية الكريمة توهم أن اتخاذ الكفار أولياء، إذا لم يكن من دون المؤمنين لا بأس به دليل قوله " من دون المؤمنين ".

وقد جاءت آيات أخر تدل على منع اتخاذهم أولياء مطلقا كقوله تعالى : " ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا " (٣)

الجواب : أن قوله : " من دون المؤمنين " لا مفهوم له، وقد تقرر فى علم الاصول أن دليل الخطاب الذى هو مفهوم المخالفة له موانع تمنع اعتباره، منها : كون تخصيص المنطوق بالذكر لأجل موافقته

---

(١) مناهل العرفان للزرقانى ج٢ ص٢٧١ بتصرف

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٨

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٩

للواقع، كما فى هذه الآية لأنه نزلت فى قوم والوا اليهود دون المؤمنين، فنزلت ناهية عن الصورة الواقعة من غير قصد التخصيص، بل موالاة الكفار حرام مطلقاً. (١)

الموضع العشرون : قال عز وجل : " أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير " (٢)

هذه الآية يوهم ظاهرها أن بعض المخلوقين ربما خلق بعضهم ونظيرها قوله " وتخلقون إفكا " (٣) وجاءت آيات أخر تدل على أن الله هو خالق كل شئ كقوله تعالى : " الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل " (٤)

والجواب ظاهر وهو أن معنى خلق عيسى كهيئة الطير من الطين هو : أخذه شيئا من الطين وجعله إياه على هيئة الطير وليس المراد الخلق الحقيقى لأن الله منفرد به، وقوله " وتخلقون إفكا " أى كذبا، فلا منافاة بين الآيات (٥)

---

(١) دفع إيهام التناقض للشنقيطى ص٤٨

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٩

(٣) سورة العنكبوت الآية ١٧

(٤) سورة الزمر الآية ٦٢

(٥) دفع إيهام التناقض ص٥٠ بتصرف

الموضع الحادي والعشرون :- قوله تبارك وتعالى : " إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي " (١) الآية.

هذه الآية يتوهم من ظاهرها وفاة عيسى عليه السلام، وقد جاء في بعض الآيات ما يدل على خلاف ذلك كقوله " وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته.. "(٢) على ما ورد في تفسيرها أن المقصود " قبل موته " أي موت عيسى عليه وعلى نبينا السلام.

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه :-

الأول :- أن قوله " متوفيك " لا يدل على تعيين الوقت ولا يدل على كونه قد مضى وهو متوفيه قطعاً يوما ما. ولا دليل على أن ذلك الوقت قد مضى. والواو هنا لا تقتضي الترتيب والجمع بل تقتضي مطلق التشريك.

الثاني : أن معنى " متوفيك " أي منيمك ورافعك إلي، أي في تلك النومة، وقد جاء في القرآن إطلاق الوفاة على النوم في قوله : " وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار (٣)

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٥

(٢) سورة النساء الآية ١٥٩

(٣) سورة الانعام الآية ٦٠

الثالث :- أن متوفيك " اسم فاعل توفاه إذا قبضه وحازه إليه فيكون معنى متوفيك على هذا قابضك منهم إلى حيا (١).

الموضع الثاني والعشرون :-

قوله تبارك وتعالى : " إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون (٢)

هذه الآية يدل ظاهرها أن المرتدين بعد إيمانهم المزدادين كفراً لا يقبل الله توبتهم إذا تابوا لأنه عبر بلن الدالة على نفى الفعل فى المستقبل مع أنه جاءت آيات أخرى دالة على أن الله يقبل توبة كل تائب قبل حضور الموت وقبل طلوع الشمس من مغربها وذلك كقوله " قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف " (٣) وقوله " وهو الذى يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات " (٤)

هاتان الايتان وغيرهما تدلان أن التوبة قبل اتيان بعض الآيات الدالة على قيام الساعة مقبولة من كل تائب. وأن الله تعالى الغفور الكريم يقبل توبة عبده ما دام يتوب مخلصا قبل الموت وقبل طلوع الشمس من مغربها.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ص٥٠ - ٥٣ بتصرف

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٠

(٣) سورة الانفال الآية ٣٨

(٤) سورة الشورى الآية ٢٥

ثم صرح سبحانه بدخول المرتدين فى قبول التوبة قبل هذه الآيات مباشرة وذلك فى قوله عز وجل : " كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق.. إلى قوله " إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم " (١)

فالاستئناف فى قوله : " إلا الذين تابوا " راجع إلى المرتدين بعد الإيمان المستحقين للعذاب واللغة - إن لم يتوبوا - ويدل على ذلك أيضا قوله : " ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة " (٢) وذلك إذا مات قبل الموت قبلت توبته مطلقاً.

توضيحا لذلك نقول :

أولا : اختيار ابن جرير وهو أن المعنى أن الذين كفروا من اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم به وقبل مبعثه حيث كانوا يعرفونه بصفته الموجودة فى التوراة، ثم ازدادوا كفراً بما أصابوا من الذنوب فى كفرهم فلن تقبل توبتهم من ذنوبهم التى فى كفرهم حتى يتوبوا من كفرهم (٣)

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨٦ : ٨٩

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٧

(٣) تفسير ابن جرير الطبرى م٣ ج٣ ص٣٤١ بتصرف

ثانيا : أن قوله " لن تقبل توبتهم " أى إذا تابوا عند حضور الموت، ويدل على هذا أنه تعالى لا يقبل توبة الكافر الذى يصر على الكفر ويموت عليه ويتوب عند الغرغرة لقوله تعالى " وليست التوبة للذين يعملون السئات حتى إذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار " (١)

فالاطلاق الذى فى هذه الآية يقيد تأخير التوبة إلى حضور الموت لوجوب حمل المطلق على المقيد كما هو مقرر فى علم الاصول. كما أنه يجوز أن يكون المراد بقوله " لن تقبل توبتهم " انهم لم يوفقوا للتوبة النصوح حتى تقبل منهم ويدل لذلك قوله : " إن الذين أمنوا ثم كفروا ثم أمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا " (٢)، (٣)

الموضع الثالث والعشرون :- قوله تبارك وتعالى " وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها " (٤)

---

(١) سورة النساء الآية ١٨

(٢) سورة النساء الآية ١٣٧

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٤ ص١٣٠، ١٣١ بتصرف

(٤) سورة آل عمران الآية ١٠٣

هذه الآية تدل على أن الأنصار ما كان بينهم وبين النار إلا أن يموتوا مع انهم كانوا أهل فترة والله يقول : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " (١) وقوله " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " (٢)

وللتوفيق بين هذه الآيات نقول : " أنه ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يبق لأحد علم ببعثه عذر، فكل من لم يؤمن به والحال أنه علم برسالته فليس بينه وبين النار إلا أن يموت إذا مات دون إيمانه، ويوضح ذلك قوله " ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده " (٣).

الموضع الرابع والعشرون :- قوله سبحانه وتعالى " ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة " (٤)

وقد جاء فى آية أخرى وصفه تعالى لهم بأن لهم العزة وهى قوله " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " (٥) ولا شك أن بين العزة والذلة تناف وتناقض.. ولإزالة هذا التعارض والتنافى نقول : معنى وصفهم بالذلة يكمن

---

(١) سورة الاسراء الآية ١٥
(٢) سورة النساء الآية ١٦٥
(٣) سورة هود الآية ١٧
(٤) سورة آل عمران الآية ١٢٣
(٥) سورة المنافقون الآية ٨

فى قلة عددهم وقلة عدتهم بالنسبة لعددهم فى يوم بدر، ووصفهم بالعزة أيضا يرجع لكثرة عددهم وعدتهم وذلك فى غزوة بنى المصطلق، وكان العرب بحكم طبيعتهم يفخرون بذاك.. وهذا ما جعل أحد الصحابة يقول قبيل غزوة حنين لن نهزم من قلة.

كما يمكن أن يقال إن وصف الذلة باعتبار ووصف النصر والعزة باعتبار آخر فالجهة منفكة. (١)

الموضع الخامس والعشرون من سورة النساء :- قوله تعالى " فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم.. " الآية (٢)

هذه الآية تدل بظاهرها على أن العدل بين الزوجات ممكن، وقد جاء فى آية أخرى ما يدل على أنه غير ممكن وهو قوله " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم " (٣)ولإزالة إيهام التعارض والتوفيق بين الآيتين نقول :

إن العدل بين الزوجات الذى ذكر الله أنه ممكن هو العدل فى إيفاء الحقوق الشرعية فى المأكل والملبس والمبيت وما يترتب على ذلك من مساواة... أما العدل الذى ذكر الله أنه غير ممكن فذلك هو المساواة فى

---

(١) دفع إيهام التناقض للشنقيطى ص٦٨

(٢) سورة النساء الآية ٣

(٣) سورة النساء الآية ١٢٩

الحب القلبى والميل الطبيعى فذلك خارج عن إرادة الإنسان، والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء. (١)

الموضع السادس والعشرون :- قوله عز وجل : " فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب " (٢)

هذه الآية تدل بظاهرها أن الاماء إذا زنين جلدن خمسين جلدة - والامر كذلك - ولكن جاءت آية أخرى تدل بعمومها على أن كل زانية تجلد مائة جلدة وهى قوله :"الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة" (٣)

وللتوفيق بين الآيتين نقول : إن آية النساء مخصصة لأية النور، ولا يتعارض العام مع الخاص. (٤)

الموضع السابع والعشرون :- قوله عز وجل : " ولا يكتمون الله حديثا " (٥)

---

(١) دفع إيهام الاضطراب للشنقيطى ص٧١، ٧٢

(٢) سورة النساء الآية ٢٥

(٣) سورة النور الآية ١ : ٢

(٤) دفع إيهام الاضطراب ص٧٩، ٨٠ بتصرف

(٥) سورة النساء الآية ٤٢

هذه الآية تدل بظاهرها على أن الكفار لا يكتمون من اخبارهم شيئا يوم القيامة، وقد جاءت آيات آخر تدل على خلاف ذلك كقوله : " ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين " (١) ولإزالة ما يوهم التعارض نقول :

قد بين ابن عباس رضى الله عنهما - بما يفيد الجمع بين هذه الآيات أنه لما سئل عن قوله : " والله ربنا ما كنا مشركين " مع قوله " ولا يكتمون الله حديثا " قال هو السنتهم تقول : " والله ربنا ما كنا مشركين " فيختم الله على افواههم وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون. فكتم الحق باعتبار اللسان وعدمه باعتبار الايدى والارجل.

وهذا الجمع يشير إليه قوله : " اليوم نختم على افواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون " (٢) وقد أجاب بعض العلماء بتعدد الاماكن فيكتمون فى وقت ولا يكتمون فى وقت آخر. (٣)

---

(١) سورة الانعام الآية ٢٣

(٢) سورة يس الآية ٦٥

(٣) البرهان فى علوم القرآن ج٢ ص٥٥بتصرف

الموضع الثامن والعشرون :- قوله تعالى : " وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله " (١)

لا تعارض بينه وبين قوله عز وجل " ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك " (٢) والجواب ظاهر، وهو أن معنى قوله " أن تصبهم حسنة " أى مطر وخصب وأرزاق وعافية يقولوا هذا أكرمنا الله به. " وإن تصبهم سيئة "أى جدب وقحط وفقر وأمراض يقولوا " هذا من عندك أى من شؤمك يا محمد وشؤم ما جئت به قل لهم : كل ذلك من الله ومعلوم أن الله هو الذى يأتى بالمطر والرزق والعافية، كما أنه يأتى بالجدب والقحط والامراض والبلايا.

أما قوله " ما أصابك من حسنة فمن الله " أى لأنه هو المتفضل بكل نعمة. وقوله " وما أصابك من سيئة فمن نفسك " أى من قبل نفسك ومن قبل عملك أنت إذ لا تصيب الانسان سيئة إلا بما كسبت يداه، كما

---

(١) سورة النساء الآية ٧٨

(٢) سورة النساء الآية ٧٩

قال تعالى : " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوعن كثير "

(١)

الموضع التاسع والعشرون في سورة المائدة :-

قوله تبارك وتعالى : " أوآخران من غيركم... " (٢)

هذه الآية تدل على قبول شهادة الكفار على الوصية في السفر وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله : " واشهدوا ذوى عدل منكم " (٣) وقوله : " وأشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء " (٤).

ولإزالة شبهة إيهام التعارض بين هذه الآيات فنقول :-

أن كان المقصود بالمغايرة التى فى الآية : الدين، فيكون قوله : " أو أخران من غيركم " منسوخ بقوله " وأشهدوا ذوى عدل منكم "

---

(١) سورة الشورى الآية ٣٠

(٢) سورة المائدة الآية ١٠٦

(٣) سورة الطلاق الآية ٢

(٤) سورة البقرة الآية ٢٨٢

وإن كان المقصود بالمغايرة مغايرة قبيلة الشاهد والمشهود عليه فلا إشكال ولا نسخ. (١) والله أعلم.

الموضع الثلاثون :- قوله تعالى " يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب " (٢)

هذه الآية يفهم منها أن الرسل لا يشهدون يوم القيامة على أممهم وقد جاءت أخرى تفيد أنهم يشهدون على أممهم كقوله تعالى : " فكيف إذ جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً (٣) وقوله تعالى " يوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء (٤) وللتوفيق بين هذه الآيات نقول :

أولا : يقول ابن جرير : المعنى لا علم عندنا إلا علم أنت أعلم به منا، فلا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شئ فلو عرفنا من أجابنا فإنما نعرف الظواهر فقط ولا علم لنا بالبواطن فأنت يا الله العليم بالسرائر وما تخفيه الضمائر فعلمنا بالنسبة إلى علمك فلا علم (٥)

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ص١١٣

(٢) سورة المائدة الآية ١٠٩

(٣) سورة النساء الآية ٤١

(٤) سورة النحل الآية ٨٩

(٥) تفسير ابن جرير الطبرى م٥ ج٧ ص١٢٦

ثانيا : ما قاله مجاهد والسدى والحسن البصرى : قد رأوا أن المعنى أنهم قالوا لا علم لنا، ذلك كما اعتراهم من شدة هول يوم القيامة. ثم زال عنهم فشهدوا على أممهم (١)

<u>الموضع الحادى والثلاثون</u> فى سورة الانعام :-

قوله عز وجل " ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق " (٢)

ونظير هذه الآية قوله " هنالك تبلوكل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون " (٣).

وقد جاء فى آية أخرى ما يدل على خلاف ذلك وهى قوله تعالى : " ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم " (٤)

ولإزالة ما يوهم التعارض والتوفيق بين هذه الآيات نقول : أن معنى قوله " وأن الكافرين لا مولى لهم " أى لا ينصرهم... ومعنى كونه (مولاهم) أى أنه مالكهم وهو تعالى المتصرف فى شئونهم.

---

(١) تفسير القرطبى ج٦ ص٣٦١

(٢) سورة الانعام الآية ٦٢

(٣) سورة يونس الآية ٣٠

(٤) سورة محمد الآية ١١

يقول أبو السعود فى تفسيره : مولاهم أى مالكهم الذى يلى أمورهم على الاطلاق لا ناصر هم كما فى قوله " وان الكافرين لا مولى لهم " (١).

الموضع الثانى والثلاثون :-

قوله عز وجل : " وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون "(٢)

هذه الآية يفهم منها أنه لا إثم على من جالس الخائضين فى آيات الله بالاستهزاء والتكذيب وقد جاءت آية تدل على أن من جالسهم كان مثلهم فى الاثم وهى قوله : " وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها " إلى قوله.." إنكم إذا مثلهم " (٣)

وللتوفيق بين هذه الآيات ولإزالة ما يوهم التعارض نقول :

أولا : أن معنى قوله " وما على الذين يتقون " أى مجالسة الكفار الذين يخوضون فى آيات الله عند خوضهم من حساب الكفار من شئ.. وعلى هذا فلا إشكال.. فهم بعيدون عن الخوض مع الخائضين.

---

(١) تفسير أبى السعود ج٢ ص١٠٧

(٢) سورة الانعام الآية ٦٩

(٣) سورة النساء الآية ١٤٠

ثانيا : قد يكون معنى الآية " وما على الذين يتقون " أى ما يقع من الكفار من الخوض فى آيات الله فى مجالستهم لهم من شئ، وعلى هذا يكون هذا الترخيص للمتقين فى مجالسة الكفار كان فى أول الإسلام للضرورة، ثم نسخ بقوله " إنكم عذا مثلهم " وقال بذلك مجاهد والسدى وابن جريح (١)

وعلى ذلك فلا إشكال ومعنى قوله"ولكن ذكرى لعلهم يتقون "

فعلى الوجه الأول **: يكون لا إثم عليهم إذا اجتنبوا مجالستهم غير أن الأمر باتقاء مجالستهم عند الخوض فى الآيات لا يسقط وجوب تذكيرهم ووعظهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر لعلهم يتقون الله بسبب ذلك.**

وعلى الوجه الثانى **: فإن المعنى إن الترخيص فى المجالس لا يسقط التذكير لعلهم يتقون الخوض فى آيات الله بالباطل إذا وقعت منكم الذكرى لهم (٢)**

يقول العلامة أبو السعود : روى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم فى الآيات. قالوا : لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس فى المسجد الحرام و طوف بالبيت فنزلت أى " ما على الذين يتقون قبائح أعمال الخاضعين

( ) الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص١٥ بتصرف

(٢) دفع إيهام الاضطراب ص١١٧،١١٨

وأحوالهم، " من حسابهم " مما يحاسبون عليه، " من شئ " أى شئ، " ولكن ذكرى " استدراك من النفى السابق، أى ولكن عليهم أن يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما أمكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهية والنكير، وعليه فلا تناقض بين الآيات. (١)

الموضع الثالث والثلاثون :- قوله عز وجل : " وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها (٢).

هذه الآية توهم غير العالم أن إنذاره عليه الصلاة والسلام مخصوص بمكة المكرمة ومن حولها من البلدان دون البلاد والاقطار النائية عن مكة لقوله تعالى : " وكذلك إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه " (٣) وقد جاءت آيات أخر تصرح بعموم إنذاره " صلى الله عليه وسلم " لجميع الناس كقوله " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذير " (٤) وقوله " وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ " (٥) وقوله " قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً (٦) وقوله " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا " (٧).

---

(١) تفسير أبى السعود ج٢ ص١٠٩

(٢) سورة الانعام الآية ٩٢

(٣) سورة الشورى الآية ٧

(٤) سورة الفرقان الآية ١

(٥) سورة الانعام الآية ١٩

وللتوفيق بين هذه الآيات نقول :

اولا : المراد من قوله " ومن حولها " فى الآية الأولى : جميع الأرض على مستوى الكرة الارضية.. روى ذلك المعنى ابن جرير وغيره عن ابن عباس (١)

ثانيا : أننا لو سلمنا جدلا أن قوله " ومن حولها " لا يتناول إلا القريب من مكة المكرمة حماها الله كجزيرة العرب مثلا فإن الآيات الأخرى نصت على العموم كقوله " ليكون للعالمين نذيرا " وذكر بعض أفراد العام فى حكمة لا يخصصه عند عامة العلماء ولم يخالف فى ذلك إلا أبو ثور فالأية على هذا القول كقوله تعالى : " وأنذر عشيرتك الاقربين " (٢) فإن ذلك لا يدل إطلاقا على عدم إنذار غيرهم.

يقول العلامة أبو السعود : " لتنذر أم القرى " إنما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها أعظم القرى شأنا وقبلة لأهلها قاطبة إيذانا بأن إنذار أهلها مستتبع لإنذار أهل الأرض كافة، وقوله " ومن حولها " أى من أهل

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٨

(٢) سورة سبأ الآية ٢٨

(١) تفسير ابن جرير الطبرى م٥ج٧ص٢٦٧

(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٤

المدر والوبر فى المشارق والمغارب فالآيات التى تفيد عموم الانذار تدخل فيها الآيات الخاصة بإنذار أهل مكة (١)

الموضع الرابع والثلاثون :- قوله عز وجل " لا تدركه الأبصار " (٢)

هذه الآية الكريمة توهم أن الله تعالى لا يرى بالابصار، وقد جاءت آيات أخرى تدل على أنه يرى الابصار كقوله " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " (٣) وقوله " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٤) والزيادة النظر إلى وجهه الكريم، وكذلك قوله " لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد " (٥)

وكقوله " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " (٦) ومفهوم الآية يدل على أن المؤمنين غير محجوبين عن ربهم.

وللتوفيق بين هذه الآيات ولإزالة ما يوهم التعارض نقول :

أولا : أن معنى قوله " لا تدركه الابصار " أى فى الدنيا وعلى ذلك فلا تنافى بين الآيات، والرؤية فى الآخرة محققة.

---

(١) تفسير أبى السعود ج٢ ص١٢٠

(٢) سورة الانعام الآية ١٠٣

(٣) سورة القيامة الآية ٢٢، ٢٣

(٤) سورة يونس الآية ٢٦

(٥) سورة ق الآية ٣٥

(٦) سورة المطففين الآية ١٥

ثانيا : أن الآية الأولى عامة خصصن برؤية المؤمنين له تعالى فى الآخرة، وهذا كالمعنى الأول تقريبا.

ثالثا : أن النفى فى الآية فى الادراك المشعر المفيد للإحاطه، أما مطلق الرؤية فلا تدل الآية على نفيه بل هو ثابتٌ بهذه الآيات والاحاديث الصحيحة وإتفاق أهل السنة والجماعة على ذلك.

وخلاصة القول أن الإدراك فى الآية أخص من مطلق الرؤية لأن الإدراك فى الآية ليس المراد به الاحاطه فمعنى الآية (لا تدركه الابصار) لا تحيط به، كما أن الخلق يعلمونه ولا يحيطون به علماً.

كما أن نفى الأخص لا ينفى الاعم، فانتفاء الإدراك لا يلزم منه انتفاء مطلق الرؤية مع أن الله تعالى لا يدرك كنهة على الحقيقة أحد من الخلق، ودليل صحة ذلك ما أخرجه الشيخان من حديثٌ أبى موسى مرفوعاتً " حجابة النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " (١)

فالحديث صريح فى عدم الرؤية فى الدنيا. ويفهم منه عدم إمكان الاحاطه مطلقاً (٢)

وحول هذه الآية يقول العلامة أبو السعود : البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث إنها محلها وإدراك الشئ عبارة عن الوصول إليه

---

(١) صحيح البخارى ج٤ ص٢٨٣

(٢) دفع ايهام الاضطراب ص١٢٠، ١٢١

والاحاطه به، أى لا تدل إليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب، وقال عطاء : كلت أبصار المخلوقين عن الاحاطه به فلا تمسك فيه لمنكرى الرؤية على الاطلاق (١)

وبناء على كل ما ذكر تضح أنه لا منافاة بين الآيات وصدق الله إذ يقول " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٢)

الموضع الخامس والثلاثون : قوله عز وجل " قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله (٣)

هذه الآية الكريمة تفيد بظاهرها أن عذاب أهل النار غير مؤبد ونظير هذه الآية قوله تعالى : " فأما الذين شاقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك (٤) وقوله لابثين فيها أحقاباً (٥)

---

(١) تفسير أبى السعود ج٢ ص١٢٥

(٢) سورة النساء الآية ٨٢

(٣) سورة الانعام الآية ١٢٨

(٤) سورة هود الايتان ١٠٧، ١٠٨

(٥) سورة النبأ الآية ٢٣

وقد جاءت آيات تدل على أن عذابهم لا انقطاع له كقوله تعالى " خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيرا " (١) وللتوفيق بين هذه الآيات ولإزالة ما يوهم التعارض نقول :

أولا : قوله تعالى : " إلا ما شاء الله " معناه إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين وقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة أن بعض أهل النار يخرجون منها وهم أهل الكبائر من الموحدين وغاية ما فى هذا القول إطلاق (ما) وإرادة (من) ونظيره فى القرآن الكريم " فأنكحوا ما طاب لكم من النساء " (٢)

ثانيا : أن المدة التى استثناها الله هى المدة التى بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم فى مصيرهم (٣)

الموضع السادس والثلاثون :- قوله تعالى " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً (٤)

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٦٥

(٢) سورة النساء الآية ٣

(٣) تفسير روح المعانى للألوسى ج٨ ص٢٦ بتصرف

(٤) سورة الانعام الآية ١٥١

هذه الآية يدل ظاهرها أن الذى يتلوه عليهم من المحرمات.. وذلك وهم أن معنى قوله : (أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً) من المحرمات أى أن الاحسان إلى الوالدين محرم كالاشراك بالله.

والواقع خلاف ذلك. بل الاحسان إلى الوالدين مطلب مقترن بعبادة الله لقوله " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحساناً "

وتوضيحا لهذه القضية ولإزالة هذا الايهام نقول للعلماء فى هذه الآية كلام كثير منه أن الكلام تم عند قوله (حرم ربكم). وأن قوله (عليكم أن لا تشركوا) اسم فعل يتعلق بما بعده على أنه معموله ومنه أن (أن) فى قوله (أن لا تشركوا) بمعنى أى، فتكون مفسرة للتحريم، ولكن ينافى هذا أن قوله (وأن هذا صراطى مستقيما) معطوف عليه، وذلك ينافى التفسير. وقد دفع هذا بأن قوله (وأن هذا صراطى) فيه حرف جر محذوف أى ولأن هذا صراطى.

وقد يكون قوله " وبالوالدين إحساناً معمول لفعل محذوف تقديره : واتل عليكم أن تحسنوا بالوالدين إحسانا. وعلى هذا فلا إشكال (١)

الموضع السابع والثلاثون :- فى سورة الأعراف :-

قوله تعالى : " فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين " (٢)هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن الله تعالى سيسأل جميع الناس يوم القيامة.. ونظيرها قوله تعالى " فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون " (٣) وقفوهم إنهم مسئولو " (٤) وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين (٥)

وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى : " فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان " (٦) وقوله : " ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون " (٧)

---

(١) تفسير روح المعانى للألوسى ج٨ ص٥٤ بتصرف

(٢) سورة الأعراف الآية ٦

(٣) سورة الحجر الايتان ٩٢، ٩٣

(٤) سورة الصافات الآية ٢٤

(٥) سورة القصص الآية ٦٥

(٦) سورة الرحمن الآية ٣٩

(٧) سورة القصص الآية ٧٨

وللتوفيق بين هذه الآيات وإزالة ما يوهم التعارض نقول : تتلخص الإجابة فيما يلى :

أولا : السؤال قسمان : سؤال توبيخ وتقريع وأداته فى الغالب (لم) وسؤال استخبار واستعلام وأداته فى الغالب (هل)

فالمثبت هو سؤال التوبيخ واتقريع، والمنفى هو سؤال الاستخبار والاستعلام.. ووجه دلالة القرآن على هذا أن سؤاله لهم المنصوص فى كله توبيخ وتقريع كقوله : " وقفوهم إنهم مسئولون مالكم لا تناصرون " وقوله " ألم يأتكم رسل منكم " (١) وقوله " ألم يأتكم نذير " (٢) وغير ذلك من الآيات وسؤال الله للرسل ماذا أجبتم لتوبيخ الذين كذبوا الرسل.

ثانيا : أن فى القيامة مواقف متعددة ففى بعضها يسألون وفى بعضها لا يسألون. يقول ابن قتيبة : أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى " مقداره خمسين ألف سنة " (٣) ففى مثل هذا اليوم يسألون وفيه لا يسألون لأنهم حين يعرضون يوقفون على الذنوب وحاسبون فإذا انتهت المسألة ووجبت الحجة " انشقت السماء فكانت وردة كالدهان " (٤) وانقطع الكلام وذهب الخصام واسودت وجوه قوم وابيضت وجوه أخرين وعرف الفريقان

---

(١) سورة الانعام الآية ١٣٠

(٢) سورة الملك الآية ٨

(٣) سورة المعارج الآية ٤

(٤) سورة الرحمن الآية ٣٧

بسيماهم وتطايرت الصحف وأخذ كل كتابه باليمين كأصحاب الجنة أو بالشمال كأصحاب النار.

ثالثا : ما ذكره الحليمي :- تحمل الآية الأولى وهى قوله " وقفوهم إنهم مسؤلون على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل.. وتحمل آية " فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين " على ما يستلزم الاقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه ويدل لهذا قوله " ماذا أجبتم المرسلين " (١).

وعلى آية وجه فإنه لا تعارض ولا تناف بين الآيات لأنه من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، ففى يوم القيامة مواقف كثيرة ففى موضع يسأل فيه ويناقش وموضع أخر يرحم ويلطف به، وموضع يعنف ويوبخ وهم الكفار وموضع أخر لا يعنف فيه وهم المؤمنون (٢) والله أعلم.

الموضع الثامن والثلاثون :- قوله تعالى : " فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين " (٣)

---

(١) سورة القصص الآية ٦٥

(٢) دفع إيهام الاضطراب ص١٣١، ١٣٢

(٣) سورة الأعراف الآية ١٠٧

هذه الآية تدل على تشبيه العصا بالثعبان وهولا يطلق إلا على الكبير من الحيات. وقد جاءت آية أخرى تدل على خلاف ذلك وهى قوله " فلما رآها تهتز كأنها جان " (١) لأن الجان هو الحية الصغيرة.

ولإزالة إيهام التعارض والتوفيق بين الآيات نقول : شبه العصا بالثعبان فى عظم خلقها وشبهها بالجان فى اهتزازها وخفتها وسرعة حركتها فهى جامعة بين العظم وخفة الحركة على خلاف العادة.

يقول أبو السعود : أى ظاهرة لا يشك فى كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة، وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب. وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها فى الاصل كذلك وبذلك يكون لا تعارض بين الآيات (٢)

<u>الموضع التاسع والثلاثون</u> :- فى سورة الانفال : قوله تقدست اسماؤه : " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم." (٣)الاية.

هذه الآية تدل على أن وجل القلوب يكون عند سماع ذكر الله ويكون من علاقات الإيمان، وقد جاء فى آية أخرى ما يدل على خلاف ذلك وهى قوله " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب "

---

(١) سورة القصص الآية ٣١

(٢) تفسر أبى السعود ج٢ ص١٨٧

(٣) سورة الانفال الآية ٢

(١) فالمنافاة وإيهام التناقض واضح بين الطمأنينة ووجل القلوب وللتوفيق بين الآيات وإزالة هذا الايهام نقول : تكون الطمأنينة بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد والاقرار بوحدانيته تعالى ذاتا وصفاتا وأفعالا والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى الاسلامى فتوجل القلوب لذلك.. وقد جمع بينهما فى قوله تعالى " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم يلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " (٢) وقوله تعالى : " والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا (٣) و قوله تعالى : " والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون " (٤)

الموضع الاربعون فى سورة التوبة :-

قوله تبارك وتعالى : " انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم.. " (٥) الآية

هذه الآية تدل بظاهرها على لزوم الخروج لجهاد فى سبيل الله للمسلمين عامة وقد جاءت آيات أخرى تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى : "

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٨

(٢) سورة الزمر الآية ٢٣

(٣) سورة آل عمران الايتان ٧، ٨

(٤) سورة المؤمنون الآية ٦٠

ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج " (١) وقوله تعالى فى نفس السورة : " وما كان المؤمنون لينفروا كافة " (٢)

وللتوفيق بين هذه الآيات ولإزالة إيهام التعارض نقول :-

إن أية " انفروا خفافا " منسوخة بآيات العذر المذكورة. وهذا الموضع من أمثلة ما نسخ فيه الناسخ، لأن قوله انفروا خفافا.. " ناسخ الآيات الاعراض عن المشركين. وهو منسوخ بآيات العذر (٣)

يقول العلامة أبو السعود ما خلاصته " وانفروا " تجريد للأمر بالنفور على أى حال. وقال وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أعلى أن أنفر قال عليه الصلاة والسلام : نعم، حتى نزل " ليس على الاعمى حرج " وعن ابن عباس رضى الله عنهما نسخت بقوله " ليس على الضعفاء ولا على المرضى "(٤)

---

(٥) سورة التوبة الآية ٤١

(١) سورة التوبة الآية ٩١

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٢

(٣) الناسخ والمنسوخ ص١٨٦، مناهل العرفان ج٢ ص٢٢٦

(٤) تفسير أبى السعود ج٢ ص٢٧١

الموضع الحادي والاربعون :- فى سورة يونس وله عز وجل : " ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله.." (١)

هذه الآية يدل ظاهرها أن الكفار يرجون شفاعة أصنامهم يوم القيامة.. وقد جاءت آيات أخرى تدل على إنكارهم لأصل يوم القيامة وذلك كقوله تعالى : " أإذا متن وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون " (٢) وقوله تعالى :" إن هى إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين " (٣) وقوله تعالى : " وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين " (٤) وقوله " قال من يحى العظام وهى رميم " (٥).

وللتوفيق بين هذه الآيات وإزالة إيهام التعارض نقول : إن الكفار يرجون شفاعة الاصنام فى الدنيا لإصلاحهم وإصلاح معاشهم.. وفى الآخرة على تقدير وجودها لأنهم شاكون فى وجودها ذكر هذا المعنى الحافظ ابن كثير فى تفسيره لقوله " وما نرى معكم شفعاءكم " (٦) ومن ذلك يتبين أنه لا تعارض بين الآيات وأن لكل آية معنى خاصا بها.

---

(١) سورة يونس الآية ١٨
(٢) سورة المؤمنون الآية ٨٢
(٣) سورة الدخان الآية ٣٥
(٤) سورة الانعام الآية ٢٩
(٥) سورة يس الآية ٧٨
(٦) سورة الانعام الآية ٩٤

الموضع الثاني والاربعون :- قوله تعالى " ربنا إنك اتيت فرعون وملاءه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيل ربنا أطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم (١)

فى هذه الآية نص الله تعالى على أن هذا الدعاء دجاء موسى عليه السلام دون أن يكون معه أحد بينما قال الله فى أية أخرى " قد أجيبت دعوتكما (٢)

وللتوفيق نقول أن الداعى موسى عليه السلام، ولكنه لما دعى موسى أمن هارون على دعاءه والمؤمن كالداعى، لذا جمع الله بينهما. قاله ابن كثير والقرطبى عن أبى العالية وعكرمة وأخرين (٣)

الموضع الثالث والاربعون فى سورة هود :- قوله تعالى : " ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام " (٤) **هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها أن إبراهيم عليه السلام رد السلام على الملائكة بينما جاءت آية**

---

(١) سورة يونس الآية ٨٨

(٢) سورة يونس الآية ٨٩

(٣) تفسير القرطبى ج٨ ص٣٧٥، ٣٧٦ بتصرف

(٤) سورة هود الآية ٦٩

أخرى تفيد أنه وجل ولم يرد السلام. لقوله تعالى " فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون " (١)

وللتوفيق بين هذه الآيات يمكن أن نقول :

أن الخليل - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - أجاب الملائكة برد السلام وبإخبارهم أنه وجل أيضا يشير إلى صحة هذا التوفيق قوله : " قالوا سلاما قال سلام قوم منكرون " فقوله (قوم منكرون) يدل على أنه كان وجلا منهم. وأيضا يشير إلى صحة هذا قوله تعالى " فأوجس منهم خيفة " (٢) والله أعلى وأعلم.

الموضع الرابع والاربعون في سورة يوسف :- قوله تعالى : " وجاء بكم من البدو " (٣)

هذه الآية تدل بظاهرها على أن بعض الانبياء ربما بعث من البداية بما في يعقوب عليه السلام وقد جاءت آيات أخرى تدل على خلاف ذلك،

---

(١) سورة الحجر الآية ٥٢

(٢) سورة هود الآية ٧٠ وسورة الذاريات ٢٨

(٣) سورة يوسف الآية ١٠٠

منها قوله تعالى : " وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى " (١)

وللتوفيق بين هذه الآيات ولإزالة ما يوهم التعارض نقول إن يعقوب عليه السلام نبى من الحضر ثم انتقل إلى البادية بعد ذلك.

وقد يكون المراد أن البدو الذى جاؤا منه مستند إلى الحضر فهو فى حكمه. وعليه فلا تناقض بين الآيات (٢)

<u>الموضع الخامس والاربعون</u> :- فى سورة الرعد : قوله عز وجل:- " والذين أتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه (٣)

هذه الآية يدل ظاهرها على إيمان أهل الكتاب لأن الفرح بما أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم دليل الإيمان..ونظير هذه الآية قوله تعالى " الذين أتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته " (٤)

---

(١) سورة يوسف الآية ١٠٩

(٢) دفع إيهام الاضطراب ص١٦٢

(٣) سورة الرعد الآية ٣٦

(٤) سورة البقرة الآية ١٢١

وقد جاءت آيات تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين .. إلى قوله أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم" (١)

كما بين في موضع أخر أن الكافرين كثرة في قوله تعالى : " ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون " (٢)

ولتوفيق بين هذه الآيات وإزالة ما يوهم التعارض : إن الآية عامة خصصت، هي في خصوص المؤمنين من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام ومن أسلم من اليهود والنصارى ويدل على ذلك التبغيض في قوله " أن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله " (٣)

يقول أبو السعود في تفسيره : " والذين أتيناهم الكتاب " هم المسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأحزابهما. ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن وأثنان

---

(١) سورة البينة الآيات ١،٦

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠

(٣) سورة النساء الآية ١٥٩

وثلاثون بالحبشة. " يفرحون بما أنزل إليك أى بالكتاب الموعود فى التوراة والانجيل (١)

وبذلك يكون لا تعارض بين الآيات.

الموضع السادس والاربعون فى سورة الحجر : قوله تبارك وتعالى :" ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون " (٢)

هذه الآية تدل بظاهرها على أن أدم عليه السلام خلق من صلصال (طين يابس)

وقد جاء فى آيات أخرى ما يدل على خلاف ذلك كقوله تعالى : " من طين لازب " (٣) وقوله : " كمثل آدم خلق من تراب " (٤)، وقوله : " من صلصال كالفخار " (٥) وقوله : " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين " (٦)

---

(١) تفسير أبى السعود ج٣ ص١١٢

(٢) سورة الحجر الآية ٢٦

(٣) سورة الصافات الآية ١١

(٤) سورة آل عمران الآية ٥٩

(٥) سورة الرحمن الآية ١٤

(٦) سورة المؤمنون الآية ١٢

هذه الآيات توهم فى مجموعها التعارض والاختلاف وللتوفيق بينهما نقول :

ذكرت الآيات الكريمة أطواراً مختلفة للتراب الذى هو أصل خلق أدم بألفاظ مختلفة ومعانيها فى أحوال مختلفة.. فذكر فى طوره الأول بقوله (من تراب) ثم بل التراب بالماء فصار طينا ثم جمر وملك فصار طينا لازبا ثم صار حمأ مسنوناً ثم ييبس فصار صلصالا كالفخار.. ومرجع هذه الأشياء كلها إلى جوهر هو التراب - ثم قوله بعد ذلك : " ألم نخلقكم من ماء مهين " (١) وقوله " ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين " (٢)فذلك حكاية عن أصل النطفة التى هى خلاصة عصارة الاغذية التى هى أصلا من النبات المنزرع فى الأرض وبذلك تؤول المسألة كلها أيضا إلى الأرض ولتظهر عظمة الخالق عز وجل وبذلك يتضح أنه لا تعارض ولا تناقض ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (٣)

<u>الموضع السابع والاربعون</u> :- فى سورة النحل :-

قوله تعالى : " ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم " (٤)

---

(١) سورة المرسلات الآية ٢٠

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٣

(٣) سورة البرهان فى علوم القرآن ج٢ ص٥٤

(٤) سورة النحل الآية ٢٥

تدل هذه الآية الكريمة بظاهرها أن هؤلاء الضالين يحملون أوزارهم كاملة ويحملون أيضا من أوزار أتباعهم الذين اضلوهم.. وقد جاءت آيات أخرى تدل على أنه لا يحمل أحد وزر غيره كقوله تعالى : " وأن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى " (١) وقوله : " ولا تزر وازرة وزر أخرى " (٢)

وللتوفيق بين هذه الآيات ولإزالة ما يوهم التعارض نقول :

إن هؤلاء الضالين ما حملوا إلا أوزار أنفسهم لأنهم تحملوا وزر الضلال ووزر الاضلال فمن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا لأن دعوة غيره لها ذنب يؤاخذ به قال تعالى : " فكلا أخذنا بذنبه " (٣)يقول العلامة أبو السعود قوله (من أوزار الذين يضلونهم بغير علم " أى وبعض أوزار من ضل بإضلالهم هو وزر الاضلال لأنهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاولان الوزر وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال (٤) بهذا يتضح أنه لا تعارض.

---

(١) سورة فاطر الآية ١٨

(٢) سورة النجم الآية ٣٨

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٠

(٤) تفسير أبى السعود ج٣ ص١٧٠

الموضع الثامن والاربعون :- قوله تقدست اسماؤه : " ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً " (١)

هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها أن السكر المتخذ من ثمرات النخيل والاعناب لا بأس به لأن الله أمتن به على عباده.

وقد حرم الله تعالى الخمر بكل أنواعه وجعله رجسا من عمل الشيطان وأمر باجتنابه من أجل الفلاح لقوله : " إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون " (٢)

وللتوفيق بين الآيتين وإزالة إيهام التعارض نقول :-

إن آية حسناً " وذلك على التحقيق خلافا لكثير من الاصوليين (٣) **والله أعلم**

الموضع التاسع والاربعون :- قوله عز وجل : " إنما سلطانه على الذين يتولونه " (٤)

---

(١) سورة النحل الآية ٦٧

(٢) سورة المائدة الآية ٩٠

(٣) دفع إيهام الاضطراب ص١٧٢

(٤) سورة النحل الآية ١٠٠

هذه الآية الكريمة يدل ظاهرها على أن الشيطان له سلطان على أوليائه. ونظيرها قوله " إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين "(١)

وقد جاءت آيات أخرى تنفى سلطانه عليهم كقوله : " ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان "(٢)

وللتوفيق بين الآيات أن سلطان إبليس عليهم سلطان احتلال حيث زين لهم المحرم، والسلطان المنفى هو سلطان الحجة فليس لإبليس حجة عليهم يتسلط بها غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حجة ولا برهان كما يشير إلى ذلك قوله : " وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى "(٣)

الموضع الخمسون :- قوله تبارك وتعالى : " إن الله مع الذين إتقوا والذين هم محسنون (٤)

---

(١) سورة الحجر الآية ٤٢

(٢) سورة سبأ الايتان ٢٠، ٢١

(٣) سورة إبراهيم الآية ٢٢

(٤) سورة النحل الآية ١٢٨

تدل هذه الآية الكريمة بظاهرها على أن معية الله خاصة بالمتقين وبالمحسنين.

وقد جاءت آيات أخرى تدل على عموم هذه المعية كقوله : " وهو معكم أين ما كنتم " (١)

وللتوفيق بين هذه الآيات نقول : إن معية الله للمتقين والمحسنين هى معية خاصة بهم بالنصرة والتوفيق والعون والتيسير لأحسن الأحوال تكريما لهم من ربهم الذى سمعوا له وأطاعوه مثل هذه الآية ومثل قوله : " إذ يوحى ربك إلى الملائكة إنى معكم. " (٢) وقوله " لا تحزن إن الله معنا " (٣)

وهناك معية عامة بكل الخلق وهى معية إحاطة وعلم فهو سبحانه محيط بكل شئ علما لقوله : " أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ " (٤) وقوله " والله من ورائهم محيط " (٥) فجميع الخلائق تحت قدرته لا يغرب عنه مثقال ذرة فى السموات والارض.

---

(١) سورة الحديد الآية ٤

(٢) سورة الانفال الآية ١٢

(٣) سورة التوبة الآية ٤٠

(٤) سورة الطلاق الآية ١٢

(٥) سورة البروج الآية ٢٠

ومن هنا لا تنافى بين الآيات ولا تعارض

الموضع الحادى والخمسون :- فى سورة الاسراء قوله تبارك وتعالى : " ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما " (١)

هذه الآية الكريمة يدل ظاهرها أن الكفار يبعثون يوم القيامة عميا وبكما وصما.

وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى : " اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا " (٢) وقوله " ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها " (٣).. وغير ذلك، ولإزالة إيهام التناقض نقول :

قد يكون المراد مما ذكر حقيقة ويكون ذلك فى مبدأ الأمر ثم يرد الله تعالى إليهم ابصارهم وسمعهم ونطقهم وبذلك قال أبو حيان (٤)

وقد يكون المراد أنهم لا يرون شيئا يسرهم ولا يسمعون كذلك ولا ينطقون بحجة كما كانوا فى الدنيا لا ينطقون بحق ولا يسمعون حقا. قال بذلك ابن جرير عن ابن عباس (٥) فنزل السمع والابصار منزلة العدم لعدم الانتفاع بها انتفاعاً ينفعهم فى آخرتهم وهذا أشبه بقول الكفار " وقالوا لو كنا

---

(١) سورة الاسراء الآية ٩٧

(٢) سورة مريم الآية ٣٨

(٣) سورة الكهف الآية ٥٣

(٤) تفسير البحر المحيط لأبى حيان ج٦ ص٨٢

نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير " (١) أى سمعا وعقلا يقودهم إلى الجنة. وقد يكون المراد أن الله تعالى إذ قال لهم : " أخسأوا فيها ولا تكلمون " (٢)وقع بهم ذلك العمى والصم والبكم من شدة الكرب واليأس من الفرج قال تعالى : " ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون " (٣) وبذلك تكون الأحوال الثلاثة عقوبة : يقول العلامة أبو السعود حول هذه الآية : لا يبصرون ما يقرأ عنهم ولا ينطقون ما يقبل منهم، ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون بالايات والعبر ولا ينطقون ولا يستمعونه(٤)

الموضع الثانى والخمسون :- فى سورة الكهف قوله عز وجل :" فأردت أن أعيبها " (٥) هذه الآية تدل بظاهرها على أن عيبها يكون سببا لترك الملك الغاصب لها، ولذلك خرقها الخضر ولكن عموم قوله " وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا يقتضى أخذ الملك للمعيبة والصحيحة معاً.

---

(٥) تفسير ابن جرير الطبرى م٨ ج١٥ ص١٥٢

(١) سورة الملك الآية ١٠

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٠٨

(٣) سورة النمل الآية ٨٢

(٤) تفسير أبى السعود ج٣ ص٢٣٤

(٥) سورة الكهف الآية ٧٩

وللتوفيق بين أول الآية وأخرها نقول : الكلام فيه حذف الصفة والتقدير : كل سفينة صالحة غصبا - أى صحيحة وسليمة. وحذف النعت جائز لغويا إذ دل عليه دليل (١)

الموضع الثالث والخمسون :- فى سورة مريم :- قوله تعالى : " وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً (٢)

هذه الآية الكريمة تدل على أن جميع الناس لابد من ورودهم النار وأكد ذلك بقوله " وكان على ربك حتماً مقضياً "

وقد جاءت آية أخرى تفيد أن بعض الناس مبعد عنها ولا يسمع لها حسا وهى قوله : " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون " (٣)

وللتوفيق بين هاتين الآيتين وغيرهما نقول : إن معنى قوله : مبعدون " أى من عذاب النار والمها، أو إبعادهم عنها بعد أن يكونوا قريبين منها، وقد أخرج الإمام أحمد والترمذى عن أبى سمية قال : فلقيت جابر بن عبد الله رضى الله عنه فذكرت ذلك فقال وأهوى بأصبعيه إلى أذنية صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله عليه الصلاه والسلام لا يبقى بر

---

(١) تفسير أبو السعود ص١٩١

(٢) سورة مريم الآية ٧١

(٣) سورة الانبياء الآية ١٠١

ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم عليه السلام حتى أن النار ضجيجا من بردهم ثم ينجى الله الذين اتقوا وروى جماعة عن ابن مسعود أن ورود النار هو المرور عليها لأن الناس تمر على الصراط وهو جسر منصوب على متن جهنم (١)

قال العلامة أبو السعود : إلا واردها : أى واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهى خامدة وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه (أى الورود) فقال إذا دخل أهل الجنة قال بعضهم لبعض : أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة، أما قوله : أولئك عنها مبعدون المراد الابعاد عن عذابها، أو الورود على الصراط الممدود وبذلك لا يكون بين الآيات تناقض ولا تعارض (٢)

الموضع الرابع والخمسون : قوله عز وجل : ويوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا، ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا " (٣)هاتان الايتان مع نظائرهما يفيد ظاهرهما أن المتقين يحشرون وفودا إلى ربهم وأن المجرمين يساقون أيضا جماعات إلى جهنم. بينما جاء قوله " وكلهم آتيه يوم القيامة فردا " (٤) وهذه الآية تفيد أن كل شخص يأتى إلى ربه فردا لا أحد معه.

---

(١) تفسير القرطبى ج١١ ص١٣٦

(٢) تفسير أبى السعود ج٣ ص٢٨٩

(٣) سورة مريم الايتان ٨٥، ٨٦

(٤) سورة مريم الآية ٩٥

وللتوفيق بين هذه الآيات ولإزالة ما يوهم التعارض نقول : يقول ابن عطية فى المحرر الوجيز : الحشر الجمع وقد صار فى عرف ألفاظ الشرع البعث من القبور وعلى ذلك يكون المراد من حشر المتقين وسوق المجرمين يكون بعثهم من قبورهم (١)

وظاهر هذه الوفادة أنها بعد انقضاء الحساب والنهوض إلى الجنة. وكذلك سوق المجرمين إنما هو لدخول النار أى سوقهم بعد حسابهم. وعلى هذا فلا تعارض بين الآيات فالناس قدموا على ربهم فرادى وبعد انتهاء الحساب يكرم المتقون فيسيرون وفودا راكبين إلى الجنة ونعيمها. ويساق المجرمون كالبهائم إلى النار.

الموضع الخامس والخمسون :- فى سورة طه قوله تبارك وتعالى : " قال فمن ربكما يا موسى " (٢)

هذه الآية تقتضى أن يكون المخاطب أثنان وقوله (يا موسى) يقتضى أن المخاطب واحد وللإجابة عما يوهم التناقض نقول : إن فرعون خاطبهما معاً. وخص موسى بالنداء، لأنه الاصل فى الرسالة ويشير إلى صدق هذا قوله تعالى : " فأرسله معى رداءاً يصدقنى إنى أخاف أن

---

(١) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ج١١ ص٥٦

(٢) سورة طه الآية ٤٩

يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك."(١) وبهذا تتضح الإجابة ويزول إيهام التعارض.

الموضع السادس والخمسون :- في سورة الانبياء قوله عز وجل :-

" إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون " (٢)

هذه الآية تدل بظاهرها على أن جميع المعبودات مع عابديها في النار وقد أشارت آيات أخرى إلى أن بعض المعبودين كعيسى عليه السلام والملائكة ليسوا من أهل النار لأن عيسى رسول من أولى العزم ومعصوم، والملائكة كذلك لأنهم فطروا على الطاعة، وهم برءاء من عبادة معبوديهم يشير إلى ذلك قوله : " ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون " (٣) وقوله : ' ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون " (٤)

وللتوفيق بين الآيات وإزالة إيهام التعارض نقول : إن هذه الآية لم تتناول عيسى ولا الملائكة للتعبير بما الدالة على غير العقلاء وأشير إلى ذلك بقوله ' ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون " (٥) ويمكن القول

---

(١) سورة القصص الايتان ٣٤، ٣٥

(٢) سورة الانبياء الآية ٩٨

(٣) سورة الزخرف الآية ٥٧

(٤) سورة سبأ الآية ٤٠

(٥) سورة الزخرف الآية ٥٨

بأن عيسى والملائكة خارجون من هذا النفى دفعا للتوهم بعصمتهما ولقوله " إن الذين سبقت لهما منا الحسنى أولئك عنها مبعدون (١)

الموضع السابع والخمسون :- فى سورة النور قوله تقدست اسماؤه : " الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات " (٢)

وهذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على تعارضها مع قوله : " وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط.. إلى قوله... مع الداخلين " (٣) وقوله أيضا : " وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة " (٤)

وقد دلت الآية الأولى على خبث الزوجتين الكافرتين امرأة نوح وامرأة لوط مع زوجيهما خلاصة الطيبين إذ هما رسولان من رسل الله وهما نوح ولوط.. ودلت الآية الثانية على طيب امرأة فرعون مع كفر زوجها وخبثه.

---

(١) سورة الانبياء الآية ١٠١

(٢) سورة النور الآية ٢٦

(٣) سورة التحريم الآية ١٠

(٤) سورة التحريم الآية ١١

وللتوفيق بين هذه الآيات وإزالة ما يوهم التعارض نقول :

أولا : يمكن أن يكون المعنى : الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول والطيبات من القول للطيبين من الرجال. والطيبون من الرجال للطيبات من القول أى فما نسبه أهل النفاق إلى عائشة من كلام خبيث هم أولى به، وهى أولى بالبراءة والنزاهة منهم وقلنا ذلك لأن الآيات نزلت فى براءة عائشة رضى الله عنها. ولذا قال عقب الآية سبحانه " أولئك مبرؤون مما يقولون ".

أى عائشة واسرتها ورسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك فلا غشكال أصلا وقد قال بذلك ابن عباس ومجاهد ورواه عنهم ابن جرير وابن كثير وغيرهم (١)

ثانيا : يمكن أن يقال بأن الآية - الخبيثات للخبيثين.. " من العام الذى خصص بدليل قوله " امرأة نوح وامرأة لوط "، " وامرأة فرعون " وعليه فالغالب تقييض كل من الطيبات والطيبين والخبيثات والخبيثين لجنسه الملائم له فى الخبث أو الطيب مع أنه تعالى ربما قيض خبيثة لطيب كأمرأة نوح وامرأة لوط - أو طيبة لخبيث كأمرأة فرعون لحكمة بالغة كما دل عليه قوله " وضرب الله مثلا للذين كفروا.. " مع قوله " وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون " والحكمة فى ذلك أن يعلم الناس أن القرابة من

---

(١) انظر القرطبى ج١٢ ص٢١١، الطبرى م٩ج١٨ ض ٢٩٥، تفسير ابن كثير م٣ ج١٨ ص٢٨٩

الصالحين لا تنفع الإنسان وإنما ينفعه عمله فقط فدخول امرأة نوح وامرأة لوط أكبر دليل على ذلك لقوله تعالى : " فلم يغنيا عنهما من الله شيئا " ولعل ذلك يدفع الاغترار بالقرابة.

كما أنه يفهم من الآية أن من خالط الكفار وأحسن عمله يدخل الجنة ولا يضره خبث عمل الكفار، فالخبث خبث وإن خالطه الصالحون والطيب طيب وإن خالطه الاشرار (١)

الموضع الثامن والخمسون : في سورة الفرقان قوله تعالى : " أولئك يجزون الغرفة بما صبروا. " (٢)

هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على أن أهل الجنة يجزون غرفة واحدة

وقد جاءت آيات آخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى : " لهم غرف من فوقها غرف مبنية " (٣)

وقوله وهم في الغرفات آمنون " (٤)

---

(١) أنظر دفع إيهام الاضطراب ص٢١٧-٢١٩

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٥

(٣) سورة الزمر الآية ٢٠

(٤) سورة سبأ الآية ٣٧

وللتوفيق بين هذه الآيات نقول : إن المراد بالغرفة الدرجة العليا فى الجنة وقيل الغرفة الجنة سميت غرفة لارتفاعها.

يقول العلامة أبو السعود الغرفة الدرجة العالية من المنازل أى يثابون أعلى منازل الجنة وهى اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى : " وهم فى الغرفات آمنون " وقيل هى اسم من اسماء الجنة " (١)

وعلى ذلك فلا تعارض بين الآيات.

الموضع التاسع والخمسون :- فى سورة الشعراء قوله تبارك وتعالى : " كذبت قوم نوح المرسلين " (٢)

هذه الآية تدل بظاهرها على أن قوم نوح كذبوا جماعة من المرسلين ثم بين ذلك ما يدل على خلاف ذلك وانهم إنما كذبوا رسولا واحداً وهو نوح عليه السلام بقوله : " إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون " (٣)

وللتوفيق بين هذه الآيات وإزالة ما يوهم التعارض نقول : قال العلماء : كنت دعوة الرسل واحدة وهى قولهم لا إله إلا الله، فلما كان الأمر كذلك صار كل مكذب لأى رسول مكذبا لكل الرسل يدل على ذلك قوله تعالى

---

(١) تفسير أبى السعود ج٤ ص١٠٠

(٢) سورة الشعراء الآية ١٠٥

(٣) سورة الشعراء الآية ١٠٦

: " وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون "(١)

وقوله : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " (٢)

وقد بين سبحانه أن مكذب بعضهم يعتبر مكذبا لجميع الرسل بقوله : " ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا " (٣)

ويأتي هذا الاشكال في قصة عاد في قوله : كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود. (٤)

وفي قوله كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح.." (٥) وفي قصة لوط وشعيب عليهم جميعا وعلى نبينا الصلاة والسلام، وبذلك يكون قد تم التوفيق وزال ما يوهم التعارض.

---

(١) سورة الانبياء الآية ٢٥

(٢) سورة النحل الآية ٣٦

(٣) سورة النساء الآية ١٥١

(٤) سورة من الشعراء الايتان ١٢٣، ١٢٤

(٥) سورة الشعراء الايتان ١٤١، ١٤٢

يقول العلامة أبو السعود : وتكذيبهم للمرسلين " إما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول الشرائع التى لا تختف باختلاف الازمنة (١) وبذلك يتم التوفيق.

الموضع الستون فى سورة النحل :- قوله عز وجل : " وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ " (٢)

تدل هذه الآية بظاهرها على أن الجبال يظنها الرائى ساكنة بينما هى تسير وقد جاءت آيات أخر تدل على أن الجبال راسية. والراسى هو الثابت المستقر كقوله : " والجبال أرساها " (٣)وكقوله " والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى " (٤) وكقوله " والقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم " (٥) وغير ذلك

وللتوفيق بين هذه الآيات وإزالة ما يوهم التعارض نقول :-

قوله " أرساها" ونحوه ذلك فى الدنيا فقد أرسى الله الأرض بالجبال عند خلقها. أما قوله " وهى تمر مر السحاب " فذلك فى الآخرة بدليل قوله " ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا ما

---

(١) تفسير أبى السعود ج٤ ص١١٣

(٢) سورة النمل الآية ٨٨

(٣) سورة النازعات الآية ٣٢

(٤) سورة ق الآية ٧

شاء الله " (١) ثم عطف على هذه الآية قوله " وتر الجبال " وهناك نصوص قرآنية أخرى تدل على أن سير الجبال يكون فى يوم القيامة كقوله تعالى " ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم.. " (٢) وقوله تعالى " وسيرت الجبال فكانت سرابا " (٣)

يقول العلامة أبو السعود مدلالا على أن سير الجبال يكون يوم القيامة : ذلك يكون بعد النفخة الثابتة عند حشر الخلق بيد الله الأرض غير الأرض ويغير هيأتها ويسير الجبال عن مقارها (٤)

الموضع الحادى والستون : فى سورة العنكبوت قوله عز وجل : " وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ (٥)

تفيد هذه الآية أن هؤلاء الكفار سيحملون أوزارهم فقط ولا يحملون أوزارا من زار غيرهم ممن اضلوهم وأتبعوا سبيلهم.

---

(٥) سورة النحل الآية ١٥

(١) سورة النمل الآية ٧٧

(٢) سورة الكهف الآية ٤٧

(٣) سورة النبأ الآية ٢٠

(٤) تفسير أبى السعود ج٤ ص١٤٤

(٥) سورة الكهف الآية ١٧

وهذه الآية يعارضها من حيث الظاهر قوله : " وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة " (١) ومفهوم هذه الآية أن الكفار سيحملون أوزارهم وأوزارا من أوزار الذين أتبعوهم.. وهذا ما يوهم التعارض ولإزالة هذا الايهام والتوفيق بين الآيتين نقول لا تعارض فأثقالهم أوزار ضلالهم والاثقال التى معها هى أوزار ضلالهم ولا ينقص ذلك شيئا من أوزار أتباعهم الضالين.

الموضع الثانى والستون :- فى سورة الأحزاب قوله عز وجل : " يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما " (٢)

ووجه إيهام التعارض يأتى حيث بدأت الآية بتوجيه النداء الخطاب إليه صلى الله عليه وسلم بالافراد وكتمت بتوجيه الخطاب بقوله (وتعلمون) جمعا.

ولإزالة الايهام نقول : لا منافاة بين أول الآية وأخرها. وذلك لدخول الامة تحت الخطاب الخاص بالنبى صلى الله عليه وسلم، وخاطبه لأن قدوتهم عليه الصلاة والسلام والمراد أمته.

يقول العلامة أبو السعود : نودى بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانته والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه.

---

(١) سورة العنكبوت الآية ١٣

(٢) سورة الأحزاب الايتان ١، ٢

وقوله " إن الله بما تعلمون خبيرا " قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم، وقيل صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، وايا كان فالجملة تعليل للأمر وتأكيد لموجبه.. فلابد من اتباع الوحى والعمل بمقتضاه حتما (١)

الوضع الثالث والستون : قوله تبارك وتعالى : " يا أيها النبى أنا أحللنا لك أزواجك.. " (٢)

هذه الآية يظهر تعارضها مع قوله تعالى : " لا يحل لك النساء من بعد.."(٣)

وللجمع بين الآيتين والتوفيق بينهما قال العلماء ما خلاصته :

إن قوله " لا يحل لك النساء. " منسوخ بقوله " إن أحللنا لك أزواجك.. " وذلك أحد الموضعين اللذين فى المصحف ناسخها قبل منسوخها لتقدمه فى ترتيب المصحف مع تأخره فى النزول على القول بذلك وقيل الآية الناسخة لها هى قوله " تزجى من تشاء منهن " (٤) وقال

---

(١) تفسير أبى السعود ج٤ ص١٠٢، ٢٠٢

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٠

(٣) سورة الأحزاب الآية ٥٢

(٤) سورة الأحزاب الآية ٥١

بعض العلماء هى محكمة وعليه فالمعنى لا يحل لك النساء من بعد أى من اللاتى أحلهن الله لك فى قوله " إنا أحللنا لك أزواجك.. " فتكون آية " لا يحل لك النساء محرمة ما لم يدخل فى آيـة " إنا أحللنا لك أزواجك.. " كالكتابيات والمشركات وبنات العم والعمات وبنات الخال والخالات اللاتى لم يهاجرن معه على القول بذلك (١) والله أعلم

الموضع الرابع والستون :- فى سورة يس قوله تعالى " إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم"(٢)

تدل هذه الآية تدل بظاهرها على خصوص الانذار بالمنتفعين به، ونظير هذه الآية قوله تعالى " إنما أنت منذر من يخشاها " (٣)

وقد جاءت آيات أخرى على عموم الانذار كقوله : " وتنذر به قوما لدا (٤) وقوله " وليكون للعالمين نذيرا " (٥)

وللتوفيق بين هذه الآيات وإزالة ما يوهم التعارض نقول :-

---

(١) أنظر تفسير القرطبى ج١٤ ص٢١٥ : ص٢١٩ بتصرف
(٢) سورة يس الآية ١٢
(٣) سورة النازعات الآية ٤٥
(٤) سورة مريم الآية ٩٧
(٥) سورة الفرقان الآية ١

إن الانذار فى الحقيقة عام وإنما خصص فى الآيات بالمؤمنين لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم يدل على صحة ذلك قوله تعالى : " وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين " (١) والانذار وعدمه بالنسبة إلى ايمان الاشقياء سواء لقوله تعالى " سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون " (٢)

قال العلامة أبو السعود : قوله " إنما تنذر " أى انذارا مستتبعا للأثر، ومن أتبع الذكر أى القرآن بالتأمل فيه فبشره بمغفرة أى هذا هو المنتفع بالانذار فلا تعارض بين الآيات (٣)

الموضع الخامس والستون :- فى سورة الصافات قوله " فنبذناه بالعراء وهو سقيم" (٤)

هذه الآية الكريمة فيها التصريح بنبذ يونس بالعراء

وقد جاءت آية أخرى توهم خلاف ذلك وهى قوله " لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم" (٥)

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٥

(٢) سورة البقرة الآية ٦

(٣) تفسير أبو السعود ج٤ ص٢٤٩

(٤) سورة الصافات الآية ١٤٥

(٥) سورة القلم الآية ٤٩

وخلاصة التوفيق بين هاتين الآيتين وإزالة ما يوهم التعارض نقول : إن الامتناع المدلول عليه بحرف الانتفاع (لولا) منصب على الجملة الحالية لا على جواب لولا وتقرير المعنى لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء غير مذموم فهذه الحال عمدة لا فضله أو أن المراد بالفضلة ما ليس ركنا فى الإسناد وإن توقفت صحة المعنى عليه، ونظيرها قوله تعالى : " وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين " (١) وقوله " وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا (٢) وذلك لأن النفى فيهما منصب على الحال ما قبلهما (٣)

قال العلامة أبو السعود : " فنبذناه بالعراء " أى جعلنا الحوت على لفظة بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر أو نبت روى أن الحوت سار مع السفينة رافعاً رأسه يتنفس فيه يونس - عليه وعلى نبينا السلام - ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظة (سالما) لم يتغير منه شئ وهو سقيم " أى مما ناله " (٤)

---

(١) سورة الدخان الآية ٣٨

(٢) سورة صلى الله عليه وسلم الآية ٣٧

(٣) دفع إيهام الاضطراب ص٢٥٠

(٤) تفسير أبى السعود ج٤ ص٢٧٧

الموضع السادس والستون : فى سورة الزمر قوله عز وجل : " قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم " (١)

هذه الآية الكريمة تدل على أمرين :-

الاول :- أن المسرفين ليس لهم أن يقنطوا من رحمة الله مع أنه جاءت آية تدل على خلاف ذلك وهى قوله " وأن المسرفين هم أصحاب النار " (٢) وللتوفيق بين الآيات نقول ما خلاصته :

إن المعاصى إما كفر وإما معاصى للمسلمين فالاسراف فى الكفر هو الذى لا يغفر - أى أن الكفر وأما إسراف المسلمين بالمعاصى وهى التى دون الكفر، فهى التى تغفر إن شاء الله وهى التى تشملها آية " قل يا عبادى الذين أسرفوا " ويمكن القول بأن المسرفين أصحاب النار إذا لم يتوبوا، وأن قوله " قل يا عبادى الذين اسرفوا فيما إذا تابوا.

الثانى : إنها دلت على غفران جميع الذنوب مع أن هناك آيات أخرى دلت على أن من الذنوب ما لا يغفر وهو الشرك بالله.. ويجاب عن ذلك بأن : آية أن الله لا يغفر أن يشرك به.. مخصصة لهذه وقال بعض العلماء هذه

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٣

(٢) سورة غافر الآية ٤٣

مقيدة بالتوبة بدليل قوله " وأنيبوا إلى ربكم " فإنه عطف على قوله " لا تقنطوا" وعلى ذلك فلا إشكال. والله أعلم وهو اختيار ابن كثير (١)

يقول العلامة أبو السعود : قوله " قل يا عبادى.. " أى أفرطوا فى الجناية عليها والاسراف فى المعاصى وإضافة العباد خاصة بالمؤمنين كما هو عرف القرآن " لا تقنطوا من رحمة " أى لا تياسوا من مغفرته وتفضله إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيبهم حسبما يشاء وقوله " إن الله لا يغفر أن يشرك به " ظاهرة فى الاطلاق فيما عدا الشرك لقوله " إنه هو الغفور الرحيم"(٢)

الموضع السابع والستون :- فى سورة الزخرف : قوله تقدست اسماؤه " وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله " (٣)

هذا العطف مع التنكير فى هذه الآية يتوهم منه الجاهل تعدد الالهة مع أن الآيات القرآنية المتعددة كلها مصرحة بأن الله إله واحد، ومنها قوله " فأعلم أنه لا إله إلا الله " (٤) وقوله " وما من إله إلا إله واحد " (٥)

---

(١) تفسير أبن كثير م٤ ج٢٤ ص٦٣

(٢) تفسير أبى السعود ج٤ ص٣١٢

(٣) سورة الزخرف الآية ٨٤

(٤) سورة محمد الآية ١٩

(٥) سورة المائدة الآية ٧٣

وتوضيحا للمقام نقول : إن معنى الآية أنه عز وجل معبود أهل السموات والأرض فقوله : " وهوالذى فى السماء إله أى معبود وحده فى السماء، كما أنه المعبود وبالحق فى الأرض.

يقول العلامة أبو السعود : " وهو الذى فى السماء إله.. الآية " الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كأنه قيل وهو الذى يستحق لأن يعبد فيهما وعلى هذا يكون المعنى اتضح (١)والله أعلم.

الموضع الثامن والستون فى سورة الاحقاف " قوله عز وجل " قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم " (٢)

هذه الآية الكريمة تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم مصير أمره، وقد جاءت آية أخرى تدل على أنه صلى الله عليه وسلم عالم بمصير أمره، وأن مصيره إلى الخير وهى قوله " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " (٣) فإن قوله وما تأخر تنص على حسن عاقبته وخاتمته.

وللإجابة نقول :

---

(١) تفسير أبى السعود ج٥ ص٥٠

(٢) سورة الاحقاف الآية ٩

(٣) سورة الفتح الآية ٢

إن الله تعالى أعلمه ذلك بعد أن كان لا يعلمه ويستأنس له " بقوله تعالى " وعلمك ما لم تكن تعلم " (١) وقوله " ووجدك ضالا فهدى " (٢) وقوله " وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك.. " (٣)

والاجابة هذه هى معنى قول ابن عباس وعكرمة والحسن وقتادة بأنها منسوخة بقوله " ليغفر لك ما تقدم من ذنبك " ويصدق ذلك أن سورة الاحقاف مكية، وسورة الفتح نزلت عام ست عقب رجوعه من الحديبية (٤)

وأجاب بعض العلماء بأن المراد ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أى فى الدنيا من الحوادث والوقائع (٥) وعلى ذلك فلا إشكال يقول العلامة أبو السعود : كانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم ويقترحون عليه آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى أتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيب.

وقوله " ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم " أى أى شئ يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من أفعاله تعالى وماذا يقدر لنا من القضايا قال وعن ابن

---

(١) سورة النساء الآية ١١٣

(٢) سورة الضحى الآية ٧

(٣) سورة القصص الآية ٨٦

(٤) الناسخ والمنسوخ ص٢٧٩-٢٨١

(٥) تفسير الالوسى ج١٦ ص١٨٥-١٨٧

عباس " ما يفعل بى ولا بكم " فى الآخرة. وقال هى منسوخة بقولـه ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر (١)

الموضع التاسع والستون : فى سورة الطور قوله : تقدست اسماؤه " كل امرئ بما كسب رهين " (٢)

تدل هذه الآية بمقتضى ظاهرها على عموم رهن كل انسان بعمله ولـو كان من أصحاب اليمين نظرا لشمولها المدلول عليه بلفظ (كل)

وقد جاءت آية أخرى تدل على عدم شمولها لصحاب اليمين وهى قوله تعالى : " كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين " (٣)

وللتوفيق بين الآيتين ظاهر وهو أن آية الطور تخصصها آية المدثر يقول العلامة أبو السعود حول آية الطور : كل امرئ بما كسبت راهن أى دائم ثابت أى لا ينفك عن صاحبه (٤) وحول آية المدثر يقول : كل نفس ما كسبت رهينة أى مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى

---

(١) تفسير أبى السعود ج٥ ص٦٣

(٢) سورة الطور الآية ٢١

(٣) سورة المدثر الايتان ٣٨، ٣٩

(٤) تفسير أبى السعود ج٥ ص١٠٧

الرهن، إلا أصحاب اليمين فإنهم فاكون رقابهم بما اسحنوا من أعمالهم (١) فآية الطور عامة، وآية المدثر خاصة وبذلك لا غشكال بينهما والله أعلم.

الموضع السبعون فى سورة الطلاق :- قوله تبارك وتعالى : " يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن "... (٢) الآية.

ظاهر الآية فى خصوص الخطاب به عليه الصلاة والسلام، وقوله " إذا طلقتم.. " يقتضى خلاف ذلك.

وخلاصة القول فى ذلك أن الخطاب خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام لجميع الأمة وأمثلة ذلك كثيرة.

الموضع الحادى والسبعون : قوله عز وجل : " ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقا (٣).

ووجه الايهام هنا أنه أفرد الضمير فى هذه الآية فى قوله " يؤمن"، "يدخله"، "له" وجمع فى قوله " خالدين ".

---

(١) تفسير أبى السعود ج٥ ص٢١١

(٢) سورة الطلاق الآية ١

(٣)سورة الطلاق الآية ١١

وللتوفيق بين الآيات نقول ما خلاصته : إن إفراد الضمير باعتبار لفظ (من) والجمع باعتبار معناها وذلك كثير فى القرآن الكريم (١)

الوضع الثانى والسبعون : فى سورة الحاقة عز وجل : " ولا طعام إلا من غسلين " (٢)

ظاهر هذه الآية أن الطعام محصور فى الغسلين لأهل النار وهو ما يسيل من صديد أهل النار وقد جاءت آية أخرى تدل على حصر طعامهم فى غير الغسلين وهى قوله " ليس لهم طعام إلا من ضريع " (٣) وهو الشبرق اليابس.

وللتوفيق بين هاتين الآيتين قال العلماء ما خلاصته :

أولا : أن العذاب فى جهنم أنواع والمذعبون أيضا طبقات فمنهم من يكون طعامه الغسلين ومنهم من يكون طعامه الشريع، ومنهم من يكون طعامه الزقوم، ويشير إلى صحة هذا قوله تعالى " لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم " (٤)

---

(١) دفع إيهام الاضطراب للشنقيطى ص٢٩٧

(٢) سورة الحاقة الآية ٣٦

(٣) سورة الغاشية الآية ٦

(٤) سورة الحجر الآية ٤٤

ثانيا : أن المعنى فى جميع الآيات أنهم لا طعام لهم أصلا، لأن الضريع والغسلين لا يعدان طعاماً فالضريع لا تأكله البهائم فضلا عن الأدميين. وكذلك الغسلين. والمراد لا طعام لها أصلا (١)

يقول العلامة أبو السعود عند قوله " ليس لهم طعام إلا من ضريع " هذا بيان لطعامهم أثر بيان شرابهم والضريع شوك ترعاه الابل ما دام رطبا (٢)

<u>الموضع الثالث والسبعون</u> فى سورة المرسلات قوله تبارك وتعالى : " هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون " (٣)

تدل هذه الآية الكريمة على أن أهل النار لا ينطقون ولا يعتذرون وقد جاءت آيات أخرى تدل على أنهم ينطقون ويعتذرون كقوله : " والله ربنا ما كنا مشركين " (٤) **وقوله " وقوله : " فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء " (٥) وقوله " بل لم نكن ندعو من قبل شيئا " (٦) وقوله " تالله إن كنا لفى**

---

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن ص٥٧٩، ٥٨٠

(٢) تفسير أبى السعود ج٥ ص٢٥٨

(٣) سورة المرسلات الايتان ٢٥، ٢٦

(٤) سورة الانعام الآية ٢٣

(٥) سورة النحل الآية ٢٨

(٦) سورة غافر الآية ٧٤

ضلال بين إذ نسويكم برب العالمين فما أضلنا إلا المجرمون " (١) وغير ذلك من الآيات، وللتوفيق بين هذه الآيات نقول ما خلاصته :

أولا : إن القيامة مواطن ففى بعضها ينطقون وفى بعضها لا ينطقون

ثانيا : أنهم لا ينطقون بما لهم فيه فائدة وما لا فائدة فيه كالعدم.

ثالثا : أنهم بعد أن يقول الله لهم " اخسئوا فيها ولا تكلمون " (٢) ينقطع نطقهم ولم يبقى إلا الزفير والشهيق قال تعالى : " ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون " (٣)

قال العلامة أبو السعود حول هذه الآية : هذا يوم لا ينطقون.. فى هذا إشارة إلى دخولهم النار، أى هذا يوم لا ينطقون فيه بشىء لأن السؤال والجواب والحساب قد أنقضى قبل ذلك ويوم القيامة طويل وفيه مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت فعبر عن كل وقت بيوم. وبذلك يتم التوفيق (٤)

---

(١) سورة الشعراء الآيات ٩٧-٩٩

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٠٨

(٣) سورة النمل الآية ٨٥

(٤) تفسير أبى السعود ج٥ ص٢٢١

الموضع الرابع والسبعون فى سورة الفجر :- قوله عز وجل " وجاء ربك والملك صفا صفا " (١)

توهم هذه الآية أنه ملك واحد وقوله " صفا صفا " يفيد أنه أكثر من ملك بل صفوف من الملائكة.

وخلاصة التوفيق فى الآية : أن قوله تعالى : " والملك معناه الملائكة، وذلك كقوله فى سورة الحاقة " والملك على أرجائها " (٢) فالملك اسم جنس يشمل الملائكة (٣)

الموضع الخامس والسبعون فى سورة الشمس قوله تقدست اسماؤه : " فالهمها فجورها وتقواها " (٤)

تدل هذه الآية الكريمة على أن الله هو الذى يجعل الفجور والتقوى فى القلب.. مع أنه جاءت آيات أخر تدل على فجور العبد وتقواه تكون

---

(١) سورة الفجر الآية ٢٢

(٢) سورة الحاقة الآية ١٧

(٣) تفسير روح المعانى للألوسى م٩ ج٣٠ ص١٦٣

(٤) سورة الشمس الآية ٨

باختياره ومشيئته كقوله سبحانه " فاستحبوا العمى على الهدى " (١) وقوله " اشتروا الضلالة بالهدى " (٢)

قال الشنقيطى وهذه المسألة هى التى ضل فيها القدرية والجبرية أما القدرية فضلوا بالتقريط حيث زعموا أن العبد يخلق عمل نفسه استقلالا من غير تأثير لقدرة الله فيه، وأما الجبرية فضلوا بالافراط حيث زعموا أن العبد لا عمل له أصلا حتى يؤاخذ به.

أما أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا ولم يفرطوا فأثبتوا للعبد أفعالا إختيارية، ومن الضرورى عند جميع العقلاء أن الحركة الارتعاشية ليست كالحركة الاختيارية وأثبتوا أن الله خالق كل شئ فهو خالق العبد وخالق قدرته وإرادته وتأثير قدرة العبد لا يكون إلا بمشيئة الله.

وأما على قول من فسر الآية بأن معنى : " فألهمها فجورها وتقواها " أنه بين لها طريق الخير من طريق الشر (٣) فلا إشكال فى الاية.

يقول العلامة أبو السعود : " أى أفهمهما إياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت"(٤)

---

(١) سورة فصلت الآية ١٧

(٢) سورة البقرة الآية ١٦

(٣) أنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج٢٠ ص٧٥

(٤) تفسير أبى السعود ج٥ ص٢٦٦

الموضع السادس والسبعون فى سورة الزلزلة : قول الله تبارك وتعالى :

" فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " (١)

تدل هاتان الايتان الكريمتان على أن كل إنسان يجازى على عمله قليلا كان أو كثيرا مسلما كان أو كافرا. وقد جاءت آياتآخر تدل على خلاف ذلك العموم.

بالنسبة للكفار قوله " أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون " (٢) **وقوله** " وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا ر منثورا (٣) **وقوله** " أعمالهم كرماد اشتدت به الريح (٤) **وغير ذلك من الآيات**

وبالنسبة للمسلم من عمل الشر فقد حرصت الآيات بعد لزوم مؤاخذته به لاحتمال المغفرة أو لوعد الله بها كقوله " ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " (٥) **وقوله** " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيأتكم.. " **وللتوفيق بين هذه الآيات نقول ما خلاصته.**

---

(١) سورة الزلزلة الايتان ٧،٨

(٢) سورة هود الآية ١٦

(٣) سورة الفرقان الآية ٢٣

(٤) سورة إبراهيم الآية ١٨

(٥) سورة النساء الآية ١١٦

أولا : إن الآية من العام المخصوص، والمعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره إن لم يحيطه الكفر بدليل آيات احباط الكفر عمل الكفار ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وإن لم يغفر الله له بدليل آيات احتمال الغفران والوعد به.

ثانيا : قد تكون الآية على عمومها وأن معناها أن المؤمن يرى كل ما قدم من خير وشر فيغفر الله له الشر ويثيبه على الخير. والكافر يرى كل ما قدم من عمل فيحيط ما قدم من خير ويجازى بما فعل من شر.

ثالثا : أن الآية على عمومها وأن الكافر يرى جزاء كل عمله الحسن فى الدنيا لقوله تعالى : " نوف إليهم أعمالهم فيها " (١) وقوله " ووجد الله عنده فوفاه حسابه " (٢) المؤمن يرى جزاء عمله السئ فى الدنيا بالمصائب والابتلاءات.

يقول ابن عباس : ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا إلا اراه الله إياه. أما المؤمن فيغفر الله له سيأته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيرد حسناته تحسرا ويعاقبه بسيآته وبذلك يكون قد تم التوافق (٣)

وبهذا الموضع أكون بحمد الله وتوفيقه قد أتممت هذا البحث المتواضع راجيا من الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يتم علي وعلى المسلمين نعمته وأن ينفعنا به فى الدنيا والاخرة إنه نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة هود الآية ١٥

(٢) سورة النور الآية ٣٩

(٣) أنظر دفع الايهام والاضطراب ص٣٤١، ٣٤٢ القرطبى ج٢٠ ص١٥٠

أهم المراجع التى اعتمدت عليها فى أعداد هذا البحث

١ – القرآن الكريم

٢ – الاتقان فى علوم القرآن – جلال الدين السيوطى – دار التراث – القاهرة

٣ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – لأبى السعود – ط١ المطبعة المصرية القاهرة

٤ – أسباب النزول – المواحدى.ط مكتبة الجمهورية العربية – القاهرة

٥ – اضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الامين الشنقيطى – عالم الكتب – بيروت

٦ – البحر المحيط – لأبى حيان الاندلسى – ط٢ سنة ١٩٧٨ – دار الفكر – بيروت

٧ – البرهان فى توجيه متشابه القرآن – محمود حمزة الكرمانى ط. دار الاعتصام – القاهرة

٨ – البرهان فى علوم القرآن – محمد عبد الله الزركشى – المكتبة العصرية – بيروت

٩ – تأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة.

١٠ –جامع البيان فى تأويل القرآن – محمد ابن جرير الطبرى –ط١ سنة ١٩٩٢ دار الكتب العلمية – بيروت

١١-الجامع لأحكام القرآن - القرطبى - دار إحياء التراث العربى - بيروت

١٢-دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - محمد الأمين الشنقيطى - عالم الكتب - بيروت

١٣-روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى - الالوسى - دار الفكر - بيروت

١٤-صحيح البخارى بحاشية السندى - محمد إسماعيل البخارى ط عيسى البابى الحلبى - القاهرة

١٥-فتح الرحمن بكشف ما يلتبس فى القرآن - لأبى يحيى زكريا الأنصارى - ط٢ مكتبة الصابونى

١٦-المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز - لابن عطية الاندلسى - المجلس لعلمى بمكناس المغرب

١٧-مناهل العرفان - محمد عبد العظيم الزرقانى - ط عيسى البابى الحلبى - القاهرة

١٨-الناسخ والمنسوخ - أبو القاسم هبة الله سلامة على حاشية أسباب النزول - مكتبة الجمهورية العربية - القاهرة.